العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي

أبي بكر بن العربي المالكي

to pdf: www.al-mostafa.com

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم

قال صالح بن عبدالملك بن سعيد قرأت على الامام محمد أبي بكر بن العربي رضي الله عنه قال الحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد

اللهم إنا نستدعي من رضاك المنحة كما نستدفع بك المحنة ونسألك العصمة كما نستوهب منك الرحمة ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ويسر لنا العمل كما علمتنا وأوزعنا شكر ما آتيتنا وافهج لنا سبيلا تهدى اليك وافح بيننا وبينك بابا نفد منه عليك لك مقاليد السماوات والارض وأنت على كل شيء قدير

قاصمة الظهر

بعد أن استأثر الله بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وقد أكمل له ولنا دينه وأتم عليه وعلينا نعمته كما قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا المائدة 3 وما من شيء في الدنيا يكمل الا وجاءه النقصان ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله خاصة وذلك العمل الصالح والدار الاخرة فهي دار الله الكاملة قال أنس ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم حتى أنكرنا قلوبنا

واضطربت الحال ثم تدارك الله الاسلام ببيعة أبي بكر فكان موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم " قاصمة الظهر " ومصيبة العمر

فأما علي فاستخفى في بيته مع فاطمة

وأما عثمان فسكت

وأما عمر فأهجر وقال ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وإنما واعده الله كما واعد موسى وليرجعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليقطعن أيدي ناس وأرجلهم

وتعلق بال العباس وعلي بأمر انفسهما في مرض النبي صلى الله عليه وسلم فقال العباس لعلي إني أرى الموت في وجوه بني عبدالمطلب فتعال حتى نسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن كان هذا الأمر فينا علمناه

وتعلق بال العباس وعلي بميراثهما فيما تركه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من فدك وبني النضير وخيبر واضطرب أمر الأنصار يطلبون الأمر لأنفسهم او الشركة فيه مع المهاجرين

وانقطعت قلوب الجيش الذي كان قد برز مع أسامة بن زيد بالجرف
عاصمة
فتدارك الله الاسلام والأنام وانجابت الغمة انجياب الغمام ونفذ وعد الله باستئثار رسول الله وإقامة دينه على التمام وان كان قد أصاب ما أصاب من الرزية الاسلام بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان إذ مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم غائبا في ماله بالسنح فجاء الى مترل ابنته عائشة رضي الله عنها وفيه مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكشف عن وجهه وأكب عليه يقبله وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله طبت حيا وميتا والله لا يجمع الله عليك الموتتين أما الموتة التي كتب الله عليك فقدمتها ثم خرج الى المسجد والناس فيه وعمر يأتي بهجر من القول كما قدمنا فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم قرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين " آل عمران 144 " فخرج الناس يتلوها في سكك المدينة كأنها لم تترل الا ذلك اليوم
واجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة يتشاورون ولا يدرون ما يفعلون وبلغ ذلك المهاجرين فقالوا نرسل اليهم ياتوننا فقال ابو بكر بل نمشي اليهم فسار اليهم المهاجرون منهم ابو بكر وعمر وأبو عبيدة فتراجعوا الكلام فقال بعض الانصار منا أمير ومنكم امير فقال ابو بكر كلاما كثيرا مصيبا يكثر ويصيب منه نحن الأمراء وأنتم الوزراء ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الائمة من قريش وقال اوصيكم بالانصار خيرا ان تقبلوا
من محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم ان الله سمانا الصادقين وسماكم المفلحين وقد أمركم ان تكونوا معنا حيثما كنا فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " التوبة 119 " الى غير ذلك من الأقوال المصيبة والادلة القوية فتذكرت الانصار ذلك وانقادت اليه وبايعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه وقال ابو بكر لاسامة انفذ لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمر كيف ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك فقال لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ما رددت جيشا انفذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وقال له عمر وغيره إذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم فقال
والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلتهم عليه والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة
قيل ومع من تقاتلهم قال وحدي حتى تنفرد سالفتي

وقدم الامراء على الأجناد والعمال في البلاد مختارا لهم مرتئيا فيهم فكان ذلك من أسد عمله وافضل مقدمة

وقال لفاطمة وعلي والعباس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال " لا نورث ما تركنا صدقة " فذكر الصحابة ذلك

وقال سمعته صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يدفن نبي الا حيث يموت وهو في ذلك كله رابط الجأش ثابت العلم والقدم في الدين

ثم استخلف عمر فظهرت بركة الاسلام ونفذ الوعد الصادق في الخليفتين

ثم جعلها عمر شورى فأخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من الامر حتى

ينظر ويتحرى فيمن يقدم فقدم عثمان فكان عندالظن به ما خالف له عهدا ولا نكث عقدا ولا اقتحم مكروها ولا خالف سنة

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بأن عمر شهيد وبأن عثمان شهيد وبأن له الجنة على بلوى تصيبه

وهو زوجه رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أول

مهاجر بعد إبراهيم الخليل صلى الله عليه وآله وسلم دخل به في باب أول من وهو علم كبير جمعه الناس

ولما صحت امامته قتل مظلوما ليقضي الله أمرا كان مفعولا ما نصب حربا ولا جيش عسكرا ولا سعى الى فتنة ولا دعا الى بيعة ولا حاربه ولا نازعه من هو من اضرابه ولا أشكاله

ولا كان يرجوها لنفسه ولا خلاف انه ليس لأحد ان يفعل ذلك في غير عثمان فكيف بعثمان رضى الله عنه

وقد سموا من قام عليه فوجدناهم أهل أغراض سوء حيل بينهم وبينها فوعظوا وزجروا وأقاموا بحمص عند عبد الرحمن

ابن خالد بن الوليد يؤنبهم ويؤدبهم حتى تابوا فأرسل بهم الى عثمان فتابوا وخيرهم فاختاروا التفرق في البلاد فأرسلهم فلما سار كل الى ما اختار انشأوا الفتنة وألبوا الجماعة وجاءوا اليه بجملتهم فاطلع عليهم من حائط داره ووعظهم وذكرهم وورعهم عن دمه وخرج طلحة يبكي وبورع الناس وأرسل علي ولديه وقال الناس لهم انكم ارسلتم الينا اقبلوا الى من غير سنة الله فلما جئنا قعد هذا في بيته يعنون عليا

وخرجت أنت تفيض عينيك والله لا برحنا حتى نريق دمه

وهذا قهر عظيم وافتئات على الصحابة وكذب في وجوههم وبهت

لهم ولو أراد عثمان لكان مستنصرا بالصحابة ولنصروه في لحظة وإنما جاء القوم مستجيرين متظلمين

فوعظهم فاستشاطوا فأرادالصحابة اليهم فأوعز اليهم عثمان لا يقاتل أحد بسببه أبدا فاستسلم وأسلموه برضاه

وهي مسألة من الفقه كبيرة هل يجوز للرجل ان يستسلم أم يجب عليه ان يدافع عن نفسه

وإذا استسلم وحرم على احد ان يدافع عنه بالقتل هل يجوز لغيره ان يدافع عنه ولايلتفت الى رضاه اختلف العلماء فيها

فلم يأت عثمان منكرا لا في أول الأمر ولا في آخره ولا جاء الصحابة بمنكره وكل ما سمعت من خبر باطل إياك ان تلتفت اليه

قاصمة

قالوا مبعدين متعلقين برواية كذابين جاء عثمان في ولايته بمظالم ومناكير منها 1 ضربة لعمار حتى فتق أمعاءه 2 ولابن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنعه عطاءه 3 وابتدع في جمع القرآن وتأليفه وفي حرق المصاحف 4 وحمى الحمى 5 وأجلى أباذر الى الربذة 6 وأخرج من الشام أبا الدرداء ورد الحكم بعد ان نفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 9 12 وولى معاوية وعبدالله بن عامر بن كريز ومروان وولى الوليد بن عقبة وهو فاسق ليس من أهل الولادية

واعطى مروان خمس افريقية 14 وكان عمر يضرب بالدرة وضرب هو بالعصا 15 وعلا على درجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد انحط عنها أبو بكر وعمر 16 و لم يحضر بدرا وانهزم يوم احد وغاب عن بيعة الرضوان 17 و لم يقتل عبيدالله بن عمر بالهرمزان الذي أعطى السكين الى أبي لؤلؤة وحرضه على عمر حتى قتله 18 وكتب مع عبده على جهله كتابا الى ابن أبي سرح في قتل من ذكر فيه عاصمة

هذا كله باطل سندا ومتنا أما قولهم جاء عثمان بمظالم ومناكير فباطل

وأما ضربه لعمار وابن مسعود ومنعه عطاءه فزور - 1 2

وضربه لعمار افك مثله ولو فتق أمعاءه ما عاش أبدا

وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي ان تشتغل بها لأنها مبنية على باطل ولا يبنى حق على باطل ولا تذهب الزمان في مماشاة الجهال فإن ذلك لا آخر له

وأما جمع القرآن فتلك حسنته العظمى وخصلته الكبرى وان كان وجدها كاملة لكنه أظهرها ورد الناس اليها وحسم مادة الخلاف فيها وكان نفوذ وعدالله بحفظ القرآن على يديه حسبما بيناه في كتب القرآن وغيرها

روى الائمة بأجمعهم ان زيد بن ثابت قال ارسل الي أبو بكر مقتل اهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب

عنده فقال أبو بكر ان عمر اتانا فقال ان القتل قداستحر يوم اليمامة بقراء القرآن واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن واني ارى ان تجمع القرآن قلت لعمر كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عمر هذا والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد قال لي ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما كلفاني وأمراني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عمر هذا والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم حتى خاتمة براءة

فكانت الصحف عند ابي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر حتى قدم حذيفة بن اليمان على عثمان وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية وأذربيجان مع اهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحب ثم نردها

اليك فارسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبدالله ابن الزبى وسعيد بن العاص وعبدا لرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا

حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصه وارسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرأن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق

قال ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت انه سمع زيد ابن ثابت قال فقدت آية من الاحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فألحقناها في سورتها في المصحف

وأما ما روى انه حرقها أو خرقها بالحاء المهملة أو الخاء المعجمة وكلاهما جائز إذا كان في بقائها فساد أو كان فيها ما ليس من القرآن أو ما نسخ منه أو على غير نظمه وقد سلم في ذلك الصحابة كلهم الا انه روى عن ابن مسعود أنه خطب بالكوفة فقال اما بعد فإن الله قال ومن يغلل يأت بما غل يوم

القيامة وأني غال مصحفي فمن استطاع منكم ان يغل مصحفه فليفعل وأراد ابن مسعود ان يؤخذ بمصحفة وان يثبت ما يعلم فيه فلما لم يفعل ذلك له قال ما قال فأكرهه عثمان على رفع مصحفه ومحا رسومه فلم تثبت له قراءة أبدا ونصر الله عثمان والحق بمحوها من الارض

وأما أمر الحمى فكان قديما فيقال ان عثمان زاد فيه - 4

لما زادت الراعية وإذا جاز اصله للحاجة اليه جازت الزيادة لزيادة الحاجة

وأما نفيه أبا ذر الى الربذة فلم يفعل كان ابو ذر زاهدا - 5

وكان يقرع عمال عثمان ويتلو عليهم والذين يكترون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم " التوبة 34 " ويراهم يتسعون في المراكب والملابس حين وجدوا فينكر ذلك عليهم ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم وهو غير لازم قال ابن عمر وغيره من الصحابة وهو الحق ان ما اديت زكاته فليس بكتر فوقع بين أبي ذر ومعاوية كلام بالشام فخرج الى المدينة فاجتمع اليه الناس فجعل يسلك تلك الطرق فقال له عثمان لو اعتزلت معناه انك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس فإن للخلطة شروطا وللعزلة مثلها ومن كان على طريقة ابي ذر فحاله يقتضي ان ينفرد بنفسه او يخالط ويسلم لكل احد حاله مما ليس بحرام في الشريعة فخرج الى الربذة زاهدا فاضلا وترك جلة فضلاء وكل على خير وبركة وفضل وحال ابي ذر افضل ولا تمكن لجميع الخلق فلو كانوا عليها لهلكوا فسبحان مرتب المنازل ومن العجب ان يؤخذ عليه في أمر فعله عمر فقد روى ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه سجن ابن مسعود في نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد فأطلقهم عثمان وكان سجنهم لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ووقع بين ابي ذر ومعاوية كلام وكان ابو ذر يطلق من الكلام ما لم يكن يقوله في زمان عمر فاعلم معاوية بذلك عثمان وخشى من العامة ان تثور منهم فتنة فإن أبا ذر كان يحملهم على التزهد وأمور لا يحتملها

الناس كلهم وإنما هي مخصوصة ببعضهم فكتب اليه عثمان كما قدمنا ان يقدم المدينة فلما قدم اجتمع اليه الناس فقال لعثمان أريد الربذة فقال له افعل فاعتزل و لم يكن يصلح له الا ذلك لطريقته

ووقع بين ابي الدرداء ومعاوية كلام وكان ابو الدرداء زاهدا فاضلا قاضيا لهم فكما اشتد في الحق - 6

وأخرج طريقة عمر في قوم لم يحتملوها عزلوه فخرج الى المدينة

وهذه كلها مصالح لا تقدح في الدين ولا تؤثر في منزلة أحد من المسلمين بحال وأبو الدرداء وأبو ذر براءة من عاب وعثمان برئ أعظم براءة وأكثر نزاهة فمن روى انه نفى وروى سببا فهو كله باطل

وأما رد الحكم فلم يصح - 7

وقال علماؤنا في جوابه قد كان اذن له فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال " أي عثمان " لابي بكر وعمر فقالا له إن كان معك شهيد رددناه فلما ولى قضى بعلمه في رده وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو كان اباه ولا لينقض حكمه

8 - وأما ترك القصر فاجتهاد إذ سمع ان الناس أفتتنوا بالقصر وفعلوا ذلك في منازلهم فرأى أن السنة ربما ادت الى اسقاط الفريضة فتركها مصلحة خوف الذريعة مع أن جماعة من العلماء

قالوا ان المسافر مخير بين القصر والاتمام واختلف في ذلك

الصحابة

9 - وأما معاوية فعمر ولاه وجمع له الشامات كلها واقره عثمان بل إنما ولاه ابو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه ولى اخاه يزيد واستخلفه يزيد فأقره عمر لتعلقه بولاية ابي بكر لأجل استخلاف واليه له فتعلق عثمان بعمر وأقره فانظروا الى هذه السلسلة ما اوثق عراها واقدر سردها ولن يأتي مثلها بعدها أبدا

10 - وأما عبدالله بن كريز فولاه كما قال لأنه كريم العمات والخالات

11 - وأما تولية الوليد بن عقبة فلأن الناس على فسادالنيات أسرعوا الى السيئات قبل الحسنات فذكر الاسفرائيون انه إنما ولاه للمعنى الذي تكلم به قال عثمان ما وليته لأنه اخى وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتوأمة ابيه وسيأتي بيانه إن شاء الله

والولاية اجتهاد وقد عزل عمر سعد بن أبي وقاص وقدم أقل

منه درجة

12 - وأما قول القائل في مروان والوليد فشديد عليهم وحكمهم عليهما بالفسق فسق منهم

مروان رجل عدل من كبار الأمة عندالصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين اما الصحابة فإن سهل بن سعد الساعدي روى عنه وأما التابعون فأصحابه في السن وان كان جازهم باسم الصحبة في احد القولين وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه واعتبار خلافه والتلفت

الى فتواه والانقياد الى روايته وأما السفهاء من المؤرخين والادباء فيقولون على اقدارهم

وأما الوليد فقد روى بعض المفسرين ان الله سماه فاسقا في قوله إن جاءكم فاسق بنأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة " ا لحجرات 6 " فإنها في قولهم نزلت فيه ارسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى بني المصطلق فاخبر عنهم انهم ارتدوا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم خالد بن الوليد فتثبت في أمرهم فبين بطلان قوله وقدا ختلف فيه فقيل نزلت في ذلك وقيل في علي والوليد في قصة

اخرى وقيل ان الوليد سيق يوم الفتح في جملة الصبيان الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمسح رؤوسهم وبرك عليهم الا هو فقال انه كان على رأس خلوق فامتنع صلى الله عليه وآله وسلم من مسه

فمن يكون في مثل هذه السن يرسل مصدقا

وبهذا الاختلاف يسقط العلماء الاحاديث القوية وكيف يفسق رجل يتمثل هذا الكلام فكيف برجل من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وأما حده في الخمر فقد حد عمر قدامة بن مظعون على الخمر وهو أمير وعزله ثم قيل له صالحه وليست الذنوب مسقطة للعدالة إذا وقعت منها التوبة

وقد قيل لعثمان انك وليت الوليد لأنه اخوك لأمك اروى بنت كريز

ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فقال بل لأنه ابن عمة رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم ام حكيم البيضاء جدة عثمان وجدة الوليد لأمهما اروى

المذكورة أم حكيم توأمة عبدالله ابي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأي حرج على المرء ان يولي اخاه او قريبه

13 - وأما اعطاؤه خمس افريقية لواحد فلم يصح على انه قد

ذهب مالك وجماعة الى ان الامام يرى رأيه في الخمس وينفذ فيه ما أداه اليه اجتهاده وان اعطاءه لواحد جائز وقد بينا ذلك في مواضعه

14 - وأما قولهم انه ضرب بالعصا فما سمعته ممن اطاع او عصى وإنما هو باطل يحكى وزور ينثى فيالله وللنهي

15 - وأما علوه على درجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما سمعته ممن فيه تقية وإنما هي إشاعة منكر ليروى ويذكر فيتغير قلب من يتغير قال علماؤنا ولو صح ذلك فما في هذا ما يحل دمه ولا يخلو ان يكون ذلك حقا فلم تنكره الصحابة عليه إذ رأت جوازه ابتداء او لسبب اقتضى ذلك وان كان لم يكن فقد انقطع الكلام

16 - وأما انهزامه يوم حنين وفراره يوم احد ومغيبه عن بدر وبيعة الرضوان فقد بين عبدالله بن عمر وجه الحكم في شأن البيعة وبدر واحد واما يوم حنين فلم يبق الا نفر يسير مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن لم يجر في الأمر تفسير من بقى ممن مضى في الصحيح وإنما هي أقوال منها انه ما بقى معه الا العباس وابناه عبدالله وقثم فناهبك بهذا الاختلاف وهو أمر قد اشترك فيه الصحابة وقدعفا الله عنه ورسوله فلا يحل ذكر ما أسقطه الله ورسوله والمؤمنون اخرج البخاري جاء رجل الى ابن عمر فسأله عن عثمان فذكر عن محاسن عمله وقال لعل ذلك يسوؤك قال نعم قال فأرغم الله بانفك ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله وقال هو ذاك بيته اوسط بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال لعل ذلك يسوؤك قال اجل قال فأرغم الله بأنفك انطلق فاجهد على جهدك

وقدتقدم في حديث بني الاسلام على خمس زيادة فيه للبخاري في علي وعثمان وقد أخرج البخاري ايضا من حديث عثمان بن عبدالله بن موهب قال جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت فرأى قوما جلوسا فقال من هؤلاء القوم قالوا هؤلاء قريش قال فمن الشيخ فيهم قالوا عبدالله بن عمر قال يا ابن عمر اني سائلك عن شيء فحدثني عنه هل تعلم ان عثمان فر يوم احد قال نعم فقال تعلم انه تغيب عن بدرو لم يشهد قال نعم قال الله أكبر قال ابن عمر تعالى ابين لك اما فراره يوم احد فاشهد ان الله عفا عنه وغفر له وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لك اجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه وأماتغيبه عن بيعة الرضوان فلو

كان أحد اعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان الى مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان ثم

قال له ابن عمر اذهب بها الان معك

17 - وأما امتناعه عن قتل عبيدالله بن عمر بن الخطاب الهرمزان فان

ذلك باطل وان كان لم يفعل فالصحابة متوافرون والأمر في

اوله وقد قيل ان الهرمزان سعى في قتل عمر وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه وكان قتل عبيدالله له وعثمان لم يل بعد ولعل عثمان كان لا يرى على عبيدالله حقا لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله

وأيضا فإن احدا لم يقم بطلبه فكيف يصح مع هذه الاحتمالات كلها ان ينظر في امر لم يصح

18 - وأما تعلقهم بأن الكتاب وجد مع غلامه و لم يقل احد قط انه كان غلامه الى عبدالله بن سعد بن ابي سرح يامره بقتل حامليه

فقد قال لهم عثمان اما ان كقيموا شاهدين على بذلك والا فيميني اني ما كتبت ولا أمرت وقد يكتب على لسان الرجل ويضرب على خطه وينقش على خامه

فقالوا تسلم لنا مروان فقال لا أفعل ولو سلمه لكان ظالما وإنما عليهم ان يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه فما ثبت

كان هو منفذه وآخذه ان كان له اخذه والممكن لمن يأخذه بالحق ومع سابقته وفصيلته ومكانته لم يثبت عليه ما يوجب خلعه فضلا عن قتله

وأمثل ما روى في قصته انه بالقضاء السابق تألب عليه قوم لأحفاداعتقدوها ممن طلب امرا فلم يصل اليه وحسد حسادة اظهر داءها وحمله على ذلك قلة دين وضعف يقين وإيثار العاجلة على الآجالة وإذا نظرت

اليهم ذلك صريح ذكرهم على دناءة قدرهم وبطلان امرهم
كان الغافقي المصري امير القوم وكنانة بن بشر التجيبي
وسودان ابن حمران وعبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي
وحكيم بن جبلة من أهل البصرة ومالك بن الحارث الاشتر في طائفة هؤلاء رؤوسهم فناهيك بغيرهم
وقدكانوا أثاروا فتنة فأخرجهم عثمان بالاجتهاد وصاروا في جماعتهم
عند معاوية فذكرهم بالله وبالتقوى لفسادالحال وهتك حرمه الامة حتى قال له زيد بن صوحان يوما فيما يروى
كن تكثرعلينا من الأمرة وبقريش فما زالت العرب تأكل من قوائم سيوفها وقريش تجاهد فقال له معاوية لا أم لك أذكرك بالاسلام وتذكرني بالجاهلية قبح الله من كثر على أمير المؤمنين بكم فما انتم ممن ينفع او يضر اخرجوا عني
وأخبره ابن الكوا بأهل الفتنة في كل بلد ومؤامرتهم
فكتب الى عثمان يخبره بذلك فأرسل اليه بأشخاصهم اليه فأخرجهم
معاوية فمروا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فحبسهم ووبخهم وقال لهم اذكروا لي ما كنتم تذكرون لمعاوية وحصرهم وأمشاهم بين يديه أذلاء حتى تابوا بعد حول وكتب الي عثمان بخبرهم فكتب اليه ان سرحهم الى فلما مثلوا بين يديه جددوا التوبة وحلفوا على صدقهم وتبرأوا مما نسب اليهم
فخيرهم حيث يسيرون فاختار كل واحد ما أراد من البلاد كوفة وبصرة ومصر فأخرجهم فما استقروا في جنب ما ساروا حتى ثاروا وألبوا حتى انضاف اليهم جمع
وساروا اليه على اهل مصر عبدالرحمن بن عدس البلوي
وعلى اهل البصرة حكيم بن جبلة وعلى أهل الكوفة الاشتر مالك ابن الحارث النخعي فدخلوا المدينة هلال ذي القعدة سنة خمس وثلاثين
فاستقبلهم عثمان فقالوا ادع بالمصحف فدعا به فقالوا افتح السابعة يعني يونس فقالوا اقرأ فقرأ حتى انتهى الى قوله الله اذن لكم ام على الله تفترون قالوا له قف قالوا له أرأيت ما حميت من الحمى أذن الله لك أم على الله افتريت قال امضه إنما نزلت في كذا وقد حمى عمر وزادت الابل فزدت
فجعلوا يتبعونه هكذا وهو ظاهر عليهم حتى قال لهم ماذا تريدون فأخذوا ميثاقه وكتبوا عليه ستا او خمسا ان المنفى يقلب
والمحروم يعطى ويوفر الفيء ويعدل في القسم ويستعمل ذو الامانة والقوة فكتبوا ذلك في كتاب وأخذ عليهم ان لا يشقوا عصا ولا يفرقوا جماعة ثم رجعوا راضين وقيل أرسل اليهم عليا فاتفقوا على الخمس

المذكورة ورجعوا راضين فبينما هم كذلك إذا راكب يتعرض لهم ثم يفارقهم مرارا قالوا مالك قال أنا رسول الله أمير المؤمنين الى عامله بمصر ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان
عثمان عليه خاتمة الى عامل مصر ان يصلبهم ويقطع ايديهم وأرجلهم فاقبلوا حتى قدموا المدينة فأتوا عليا فقالوا له ألم تر الى عدو الله
كتب فينا بكذا وقد احل الله دمه قالوا له فقم معنا اليه قال والله لا اقوم معكم قالوا له فلم كتبت إلينا قال والله ما كتبت اليكم فنظر بعضهم الى بعض وخرج علي من المدينة
فانطلقوا الى عثمان فقالوا له كتبت فينا كذا قال لهم إما ان تقيموا
اثنين من المسلمين او بينة كما تقدم ذكره فلم يقبلوا ذلك منه ونقضوا عهده وحصروه
وقد روى ان عثمان جيء اليه بالاشتر فقال له يريد القوم منك إما ان تخلع نفسك أو تقص منها أو يقتلوك فقال أما خلعي فلا أترك امة محمد بعضها على بعض وأما القصاص فصاحباي قبلي لم يقصا من انفسهما ولا يحتمل ذلك بدني
وروى ان رجلا قال له نذرت دمك قال له خذ جنبي فشرط فيه بالسيف شرطة اراق منه دمه ثم خرج الرجل وركب راحلته وانصرف في الحين
ولقد دخل عليه ابن عمر فقال له عثمان انظر ما يقول هؤلاء يقولون اخلع نفسك أو نقتلك قال له ابن عمر أمخلد انت في الدنيا قال لا قال هل يزيدون على ان يقتلوك قال لا قال هل يملكون لك جنة او نارا قال لا قال فلا تخلع قميص الله عنك فتكون سنة كلما كره قوم خليفتهم خلعوه أو قتلوه
وقد اشرف عليهم عثمان واحتج عليهم بالحديث الصحيح في بنيان المسجد وحفر بئر رومة وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين رجف بهم احد واقروا له به في أشياء ذكرها
وقد ثبت أن عثمان اشرف عليهم وقال أفيكم ابنا محدوج انشدكما الله الستما تعلمان أن عمر قال إن ربيعة فاجر او غادر وإني والله لا أجعل فرائضهم وفرائض قوم جاءوا من مسيرة شهر وإنما مهر احدهم عند طبيبه وإني زدتهم في غزاة واحدة خمسمائة حتى الحقتهم بهم قالوا بلى
قال اذكركما الله الستما تعلمان انكما أتيتماني فقلتما إن كندة أكلة رأس وإن ربيعة هي الراس وان الاشعث بن قيس قد أكلهم فنزعته واستعملتكما قالا بلى
قال اللهم إنهم كفروا معروفي وبدلوا نعمتي فلا ترضهم عن إمامهم ولا ترض إماما عنهم
وقد روى عبدالله بن عامر بن ربيعة قال كنت مع عثمان في الدار فقال أعزم على كل من رأى ان عليه سمعا وطاعة إلا كف يده وسلاحه
ثم قال قم يا ابن عمر وعلى ابن عمر سيفه متقلدا فأخبر به الناس

فخرج ابن عمر ودخلوا فقتلوه

وجاءه زيد بن ثابت فقال له إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون إن شئت كنا أنصار الله مرتين قال عثمان لا حاجة لي في ذلك كفوا

وقال له أبو هريرة اليوم طاب الضرب معك قال عزمت عليك لتخرجن

وكان الحسن بن علي آخر من خرج من عنده فإنه جاء الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان فعزم عليهم في وضع سلاحهم وخروجهم ولزوم بيوتهم

فقال له ابن الزبير ومروان نحن نعزم على انفسنا ألا نبرح ففتح عثمان الباب ودخلوا عليه في أصح الأقوال فقتله المرء الاسود

وقيل أخذ ابن ابي بكر بلحيته وذبحه رومان وقيل

رجل من اهل مصر يقال له حمار فسقطت قطرة من دمه على المصحف على قوله فسيكفيكهم فإنها فيه ما حكت الى الآن

وروى ان عائشة رضي الله عنها قالت غضبت لكم من السوط ولا اغضب لعثمان من السيف استعتبتموه حتى إذاتركتموه كالفل المصفى ومصتموه موص الاناء وتركتموه كالثوب المنفي من الدنس ثم قتلتموه قال مسروق قلت لها هذا عملك كتبت الى الناس تأمرينهم بالخروج عليه فقالت عائشة والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت اليهم سوادا في بياض قال الاعمش فكانوا يرون أنه كتب على لسانها

وقد روى انه ما قتله احد الا اعلاج من أهل مصر

قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه فهذا اشبه ما روى في الباب

وبه يتبين وبأصل المسألة سلوك سبيل الحق ان احدا من الصحابة لم يسع عليه ولا قعد عنه ولو استنصر ما غلب الف او اربعة آلاف غرباء عشرين الفا بلديين او اكثر من ذلك ولكنه القى بيده الى المصيبة

وقداختلف العلماء فيمن نزل به مثلها هل يلقى بيده او يستنصر وأجاز بعضهم ان يستلم ويلقى بيده اقتداء بفعل عثمان وبتوصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك في الفتنة

قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه ولقد حكمت بين الناس فألزمتهم الصلاة ولأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يك ترى في الأرض منكر واشتد الخطب على اهل الغصب وعظم على الفسقة الكرب فتألبوا

وألبوا وثاروا إلي واستسلمت لأمر الله وأمرت كل من حولي الا يدافعوا عن داري وخرجت على السطوح بنفسي فعاثوا علي وامسيت سليب الدار ولولا ما سبق من حسن المقدار لكنت قتيل الدار

وكان الذي حملني على ذلك ثلاثة أمور احدها وصاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم المتقدمة والثاني الاقتداء بعثمان والثالث سوء الاحدوثة التي فر منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤيدة بالوحي فإن من غاب عني بل من حضر من الحسدة معي خفت ان يقول إن الناس مشوا مستعينين به مستغيثين له فأراق دماءهم

وأمر عثمان كله سنة ماضية وسيرة راضية فإنه تحقق انه مقتول بخبر الصادق له بذلك وأنه بشره بالجنة على بلوى تصيبه وأنه شهيد

وروى انه قال له في المنام إن شئت نصرتك او تفطر عندنا الليلة

وقدانتدبت المردة والجهلة الى أن يقولوا إن كل فاضل من الصحابة كان عليه مشاغبا مؤلبا وبما جرى عليه راضيا واخترعوا كتابا فيه فصاحة وأمثال كب عثمان به مستصرحا الى علي وذلك كله مصنوع ليوغر قلوب المسلمين على السلف الماضين والخلفاء الراشدين

قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه فالذي ينخل من ذلك ان عثمان مظلوم محجوج بغير حجة وأن الصحابة برآء من دمه بأجمعهم لأنهم أتوا إرادته وسلموا له رأيه في إسلام نفسه

ولقد ثبت زائدا الى ما تقدم عنهم ان عبدالله بن الزبير قال لعثمان إنا معك في الدار عصابة مستبصرة ينصر الله بأقل منهم فائذن لنا فقال اذكر الله رجلا اراق لي دمه او قال دما

وقال سليط بن أبي سليط نهانا عثمان عن قتالهم فلو أذن لنا لضربناهم حتى تخرجهم عن أقطارها

وقال عبدالله بن عامر بن ربيعة كنت مع عثمان في الدار فقال أعزم على كل من رأى أن لي عليه سمعا وطاعة الا كف يده وسلاحه فإن افضلكم غناء من كف يده وسلاحه

وثبت ان الحسن والحسين وابن الزبير وابن عمر ومروان كلهم شاك في السلاح حتى دخلدا الدار فقال عثمان اعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم اسلحتكم ولزمتم بيوتكم

فلما قضى الله من أمره ما قضى ومضى في قدره ما مضى علم ان الحق الا يترك الناس سدى وان الخلق بعده مفتقرون الى خليفة مفروض عليهم النظر فيه و لم يكن بعدالثلاثة كالرابع قدرا وعلما وتقى ودينا فانعقدت له البيعة ولولا الاسراع بعقد البيعة لعلي لجرى على من بها من الأوباش ما لا يرقع خرقه ولكن عزم عليه المهاجرون والانصار ورأى ذلك فرضا عليه فانقاد اليه

وعقد له البيعة طلحة فقال الناس بايع عليا يد شلاء والله لا يتم هذا الأمر

فإن قيل بايعا مكرهين قلنا حاشا لله ان يكرها لهما ولمن بايعهما ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك لأن واحدا أو اثنين تنعقدالبيعة بهما وتتم ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له وهو مكره على ذلك شرعا ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما ولا في بيعة الامام

وأما من قال يد شلاء وأمر لا يتم فذلك ظن من القائل ان طلحة الو من بايع و لم يكن كذلك فإن قيل فقد قال طلحة بايعت واللج على قفى قلنا اخترع هذا الحديث من أراد ان يجعل في القفا لغة قفى كما يجعل في الهوى هوى وتلك لغة هذيل لا قريش فكانت كذبة لم تدبر

وأما قولهم يد شلاء لو صح فلا متعلق لهم فيه فغن يدا شلت في وقاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتم لها كل امر ويتوقى بها من كل مكروه وقد تم لأمر على وجهه ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه وجهل المبتدع ذلك فاخترع ما هو حجة عليه

فإن قيل بايعوه على ان يقتل قتلة عثمان قلنا هذا لا يصح في شرط البيعة وإنما يبايعونه على الحكم بالحق وهو ان يحضر الطالب للدم ويحضر المطلوب وتقع الدعوى ويكون الجواب وتقوم البينة ويقع الحكم فأما على الهجم عليه بما كان من قول مطلق او فعل غير محقق او سماع كلام فليس ذلك في دين الاسلام

قالت العثمانية تخلف عنه من الصحابة جماعة منهم سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وابن عمر واسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم

قلنا أما بيعته فلم يتخلف عنها وأما نصرته فتخلف عنها قوم منهم من ذكرتم لأنها كانت مسألة اجتهاد فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصاب قدره

قاصمة

روى قوم أن البيعة لما تمت لعلي استأذن طلحة والزبير عليا في الخروج الى مكة فقال لهما علي لعلكما تريدان البصرة والشام فأقسما الا يفعلا

وكانت عائشة بمكة

وهرب عبدالله بن عامر عامل عثمان على البصرة الى مكة ويعلى بن أمية عامل عثمان على اليمن فأجتمعوا بمكة كلهم ومعهم مروان بن الحكم واجتمعت بنو امية وحرضوا على دم عثمان واعطى يعلى لطلحة والزبير وعائشة أربعمائة ألف درهم وأعطى لعائشة عسكرا جملا اشتراه باليمن بمائتي دينار فأرادوا الشام فصدهم ابن عامر وقال لا ميعاد لكم بمعاوية ولى بالبصرة صنائع ولكن اليها

فجاءوا الى ماء الحوأب ونبحت كلابه فسألت عائشة فقيل لها هذا ماء الحوأب فردت خطامها عنه وذلك لما سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول أيتكن صاحبة الجمل الأديب والتي تنبحها كلاب الحوأب فشهد طلحة والزبير انه ليس هذا ماء الحوأب وخمسون رجلا اليهم وكانت اول شهادة زور دارت في الاسلام

وخرج علي الى الكوفة وتعسكر الفريقان والتقوا وقال عمار وقد دنا من هودج عائشة ما تطلبون قالوا نطلب دم عثمان قال قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب لغير الحق

والتقى علي والزبير فقال له علي أتذكر قول النبي ص وآله وسلم انك تقاتلني فتركه ورجع وراجعه ولده فلم يقبل وأتبعه الاحنف من قتله

ونادى علي طلحة من بعد ما تطلب قال دم عثمان قال قاتل الله اولانا بدم عثمان الم تسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأنت أول من بايعني ونكث

عاصمة

أما خروجهم الى البصرة فصحيح لا إشكال فيه

ولكن لأي شيء خرجوا لم يصح فيه نقل ولا يوثق فيه بأحد لأن الثقة لم ينقله وكلام المتعصب غير مقبول وقد دخل مع المتعصب من يريد الطعن في الاسلام واستنقاص الصحابة

فيحتمل انهم خرجوا خلعا لعلي لأمر ظهر لهم وهو أنهم بايعوا لتسكين الثائرة وقاموا يطلبون الحق

ويحتمل انهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان

ويمكن انهم خرجوا لينظروا في جمع طوائف المسلمين وضم نشردهم وردهم الى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا وهذا هو الصحيح لا شيء سواه بذلك وردت صحاح الاخبار

فأما الاقسام الاول فكلها باطلة وضعيفة

أما بيعتهم كرها فباطل وقد بيناها

وأما خلعهم فباطل لأن الخلع لا يكون الا بنظر من الجميع فيمكن

ان يولى واحد او اثنان ولا يكون الخلع الا بعد الاثبات والبيان

وأما خروجهم في أمر قتلة عثمان فيضعف لأن الاصل قبله تأليف الكلمة ويمكن ان يجتمع الامران ويروى أن تغيبهم قطعا للشغب بين الناس فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم رجاء أن يرجع الناس الى امهم فيرعوا حرمة نبيهم واحتجوا عليها بقول الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس " النساء 114 " وقد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلح وأرسل فيه خرجت المثوبة واغتنمت الفرصة وخرجت حتى بلغت الأقضية مقاديرها وأحس بهم أهل البصرة فحرض من كان بها من المتألبين على عثمان الناس وقالوا اخرجوا إليهم حتى تروا ما جاءوا اليه فبعث عثمان ابن حنيف حكيم بن جبلة فلقى طلحة والزبير بالزابوقة فقتل

حكيم ولو خرج مسلما مستسلما لا مدافعا لما اصابه شيء وأي خير كان له في المدافعة وعن أي شيء كان يدافع وهم ما جاءوا مقاتلين ولا ولاة وإنما ساعين في الصلح راغبين في تاليف الكلمة فمن خرج اليهم ودافعهم وقاتلهم دافعوا عن مقصدهم كما يفعل في سائر الاسفار والمقاصد

فلما وصلوا الى البصرة تلقاهم الناس باعلى المربد مجتمعين حتى لو رمى حجر ما وقع الا على رأس إنسان فتكلم طلحة وتكلمت عائشة رضي الله عنها

وكثر اللغط وطلحة ويقول انصتوا فجعلوا يركبونه ولا ينصتون فقال أف أف فراش نار وذباب طمع وانقلبوا على غير بيان

وانحدروا الى بني نهد فرماهم الناس بالحجارة حتى نزلوا الجبل

والتقى طلحة والزبير وعثمان بن حينف عامل علي على البصرة

وكتبوا بينهم ان يكفوا عن القتال ولعثمان دار الامارة والمسجد وبيت المال وأن يترل طلحة والزبير من البصرة حيث شاءا ولا يعرض بعضهم لبعض حتى يقدم علي

وروى ان حكيم بن جبلة عارضهم حينئذ فقل بعدالصلح

وقدم علي البصرة وتدانوا ليتراءوا فلم يتركهم اصحاب الاهواء وبادروا باراقة الدماء واشتجر بينهم الحرب وكثرت الغوغاء على البوغاء كل ذلك حتى لا يقع برهان ولا تقف الحال على بيان ويخفى قتلة عثمان وإن واحدا في الجيش يفسد تدبيره فكيف بألف

وقد روى أن مروان لما وقعت عينه في الاصطفاف على طلحة قال لا اطلب اثرا بعد عين ورماه بسهم فقتله ومن يعلم هذا الا علام الغيوب و لم ينقله ثبت

وقد روى انه اصابه سهم بامر مروان لا أنه رماه

وقد خرج كعب بن سور بمصحف منشور بيده يناشد الناس ان لا يريقوا دماءهم فأصابه سهم غرب فقتله ولعل طلحة مثله

ومعلوم انه عند الفتنة وفي ملحمة القتال يتمكن أولو الاحن والحفود من حل العرى ونقض العهود وكانت آجالا حضرت ومواعدا نتجزت

فإن قيل لم خرجت عائشة رضي الله عنها وقد قال صلى الله عليه وآله

وسلم لهن في حجة الوداع هذه ثم ظهور الحصر قلنا حدث حديثين امرأة فإن أبت فأربعة يا عقول النسوان ألم أعهد اليكم الا تروا احاديث البهتان وقدمنا لكم على صحة خروج عائشة البرهان فلم تقولون ما لا تعلمون وتكررون ما وقع الانفصال عنه كأنكم لا تفهمون ان شر الدواب عندالله الصم البكم الذين لا يعقلون

وأما الذي ذكرتم من الشهادة على ماء الحواب فقد بؤتم في ذكرها باعظم حوب ما كان قط شيء مما ذكرتم ولا قال النبي صلى الله

عليه وآله وسلم ذلك الحديث ولا جرى ذلك الكلام ولا شهد احد

بشهادتهم وقد كتبت شهاداتكم بهذا الباطل وسوف تسألون

قاصمة

ودارت الحرب بين أهل الشام وأهل العراق هؤلاء يدعون الى علي بالبيعة وتأليف الكلمة على الامام وهؤلاء يدعون الى التمكين من قتلة عثمان ويقولون لا نبايع من يؤوي القتلة

وعلي يقول لا أمكن طالبا من مطلوب ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم ومعاوية يقول لا نبايع متهما بقتله او قاتلا له هو احد من نطلب فكيف نحكمه او نبايعه وهو خليفة عداء وتسور

وذكروا في تفاصيل ذلك كلمات آلت إلى استفعال رسائل واستخراج أقوال وإنشاء أشعار وضرب أمثال تخرج عن سيرة السلف يقرأها الخلف وبنبذها الخلف

عاصمة

أما وجودالحرب بينهم فمعلوم قطعا وأما كونه بهذا السبب فمعلوم كذلك قطعا وأما الصواب فيه فمع علي لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه ان يخرج عليه بل يطلب الحق عنده فإن ظهر له قضاء والا سكت وصبر فكم من حق يحكم الله فيه وإن لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه فيقوم له عذر في الدنيا

ولئن اتهم علي بقتل عثمان فليس في المدينة أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا وهو متهم به او قل معلوم قطعا انه قتله لأن ألف رجل جاءوا لقتل عثمان لا يغلبون اربعين الفا

وهبك ان عليا وطلحة والزبير تضافروا على قتل عثمان فباقي الصحابة من المهاجرين والانصار ومن اعتد فيهم وضوى اليهم ماذا صنعوا بالقعود عن نصرته

فلا يخلو أن يكون لأنهم رأوا أولئك طلبوا حقا وفعلوا حقا فهذه شهادة قائمة على عثمان فلا كلام لأهل الشام وإن كانوا قعدوا عنه استهزاء بالدين وأنهم لم يكن لهم رأس مال في الحال ولا مبالاة عندهم بالإسلام ولا فيما يجري فيه من اختلال فهي ردة ليست معصية لأن التهاون بحدود الدين وإسلام حرمات الشريعة للتضييع كفر وإن كانوا قعدوا لأنهم لم يروا أن يتعدوا حد عثمان وإشارته فأي ذنب لهم فيه وأي حجة لمروان وعبدالله بن الزبير والحسن والحسين وابن عمر واعيان العشرة معه في داره يدخلون اليه ويخرجون عنه في الشكة والسلاح والمطالبون ينظرون

ولو كان بهم قوة او أووا الى ركن شديد لما مكنوا احدا ان يراه منهم ولا يداخله وإنما كانوا نظارة فلو قام في وجوههم الحسن والحسين وعبد الله ابن عمر وعبدالله ابن الزبير ما جسروا ولو قتلوهم ما بقي على الأرض منهم حي

ولكن عثمان سلم نفسه فترك ورأيه وهي مسألة اجتهاد كما قدمنا

وأي كلام كان يكون لعلي لو كتبت عنده البيعة وحضر عنده ولي عثمان قال الخليفة له يا أيها وما تمالأ عليه الف نسمة حتى قتلوه وهم معلومون ماذا كان يقول الا أثبت وخذ وفي يوم كان يثبت الا ان يثبتوا هم أن عثمان كان مستحقا للقتل

وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين انه ما كان يثبت على عثمان ظلم ابدا وكان يكون الوقت امكن للطلب وأرفق في الحال وأيسر وصولا إلى المطلوب

والذي يكشف الغطاء في ذلك أن معاوية لما صار اليه الأمر لم يمكنه ان يقتل من قتلة عثمان أحدا الا بحكم الا من قتل في حرب بتأويل أو دس عليه فيما قيل حتى انتهى الأمر الى زمان الحجاج وهم يقتلون بالتهمة لا بالحقيقة فتبين لكم انهم ما كانوا في ملكهم يفعلون ما اضحوا له يطلبون

والذي تثلج به صدروكم ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في الفتن وأشار وبين وأنذر الخوارج وقال تقتلهم أدنى الطائفتين

الى الحق فبين أن كل طائفة منهما تتعلق بالحق ولكن طائفة علي أدنى اليه وقال تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين سورة الحجرات 10 فلم يخرجهم عن الايمان بالبغي بالتأويل ولا سلبهم اسم الاخوة بقوله بعده إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين اخويكم الحجرات 10

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في عمار تقتله الفئة الباغية وقال في الحسين ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فحسن له خلعه نفسه وإصلاحه

وكذلك يروى انه اذن في الرؤيا لعثمان في ان يستسلم ويفطر عنده الليلة

فهذه كلها امور جرت على رسم التراع و لم تخرج عن طريق من طرق الفقة ولا تعدت سبيل الاجتهاد الذي يرجر فيه المصيب عشرة والمخطيء اجرا واحدا

وما وقع من روايات في كتب التاريخ عدا ما ذكرنا فلا تلتفتوا إلى حرف منها فإنها كلها باطلة

قاصمة التحكيم

وقد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه مالا يرضى الله وإذا لاحظتموه بعين المروءة دون الديانة رأيتم انها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين وفي الاقل جهل بين

والذي صح من ذلك ما روى الائمة كخليفة بن خياط والدراقطني انه لما خرج الطائفة العراقية في مائة ألف والشامية في سبعين او تسعين الفا ونزلوا على الفرات بصفين اقتتلوا في أول يوم وهو الثلاثاء على الماء فغلب أهل العراق عليه

ثم التقوا يوم الاربعاء لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين ويوم
حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعويين بالحق فكان من جهة علي الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت ورفعت المصاحف من اهل الشام ودعوا الى الصلح وتفرقوا على ان تجعل كل طائفة أمرها الى رجل ابو موسى ومن جهة معاوية عمرو بن العاص
وكان ابو موسى رجلا تقيا ثقفا فقيها عالما حسبما بيناه في كتاب " سراج المريدين أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى اليمن مع معاذ وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعا في القول وان ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضربت الامثال بدهائه تأكيدا لما أرادت من الفساد وتبع في ذلك بعض الجهال بعضا وصنفوا فيه حكايات وغيره من الصحابة كان احذق منه وادهى وإنما بنوا ذلك على ان عمرا لما غدر أبا موسى في قصة التحكيم صار له الذكر في الدهاء والفكر
وقالوا انهما لما اجتمعا بأذرح من دومة الجندل وتفاوضا اتفقا على ان يخلعا الرجلين فقال عمرو لابي موسى اسبق بالقول فتقدم فقال إني نظرت فخلعت عليا عن الامر ولينظر المسلمون لانفسهم كما خلعت سيفي هذا من عاتقي وأخرجه من عنقه فوضعه في الارض وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض وقال إني نظرت فأثبت معاوية في
الأمر كما اثبت سيفي هذا في عاتقي وتلقده فأنكره أبو موسى فقال عمرو كذلك اتفقنا وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف
عاصمة
قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط وإنما هو شيء اخترعته المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك فتوارثته أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع
وإنما الذي روى الائمة الثقات الاثبات أنهما لما اجتمعا للنظر في الامر
في عصبة كريمة من الناس منهم ابن عمر ونحوه عزل عمرو معاوية
ذكر الدارقطني بسنده الى حصين بن المنذر لما عزل عمرو معاوية جاء جاء حصين بن المنذر فضرب فسطاطه قريبا من فسطاط معاوية فبلغ ثناه معاوية فأرسل الي فقال انه بلغني عن هذا أي عن عمرو كذا وكذا فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه فأتيته فقلت أخبرني عن الامر الذي وليت انت وأبو موسى كيف صنعتما فيه قال قد قال الناس في ذلك ما قالوا والله ما كان الامر على ما قالوا ولكن قلت لابي موسى ما ترى في هذا الأمر قال أرى انه في النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض قلت فأين تجعلني انا ومعاوية فقال ان يستعن بكما ففيكما معونة وان يستغن عنكما فطلما

استغنى امر الله عنكما قال فكانت هي التي قتل معاوية منها نفسه فأتيته فأخبرته أي فاتى حصين معاوية فأخبره ان الذي بلغه عنه كما بلغه فأرسل الى ابي الأعور الذكواني فبعثه في خيله فخرج يركض فرسه ويقول أين عدو الله أين هذا الفاسق

قال ابو يوسف اظنه قال إنما يريد حوباء نفسه فخرج

عمرو " الى فرس تحت فسطاطه فجال في ظهره عريانا فخرج يركضه نحو فسطاط معاوية وهو يقول إن " الضجور قد تحتلب العلبة يا معاوية إن الضجور قد تحتلب العلبة فقال معاوية أحسبه ويريد الحالب فتدق انفه وتكفأ إناءه

قال الدارقطني وذكر سندا عدلا وساق الحديث ربعي عن أبي موسى أن عمرو بن العاص قال والله لئن كان ابو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما منه شيء لقد غبنا ونقص رأيهما وايم الله ما كان مغبونين ولا ناقصي الرأي ولئن كانا امرأين يحرم عليهما هذا المال الذي اصبناه بعدهما لقد هلكنا وايم الله ما جاء الوهم الا من قبلنا

فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه فأعرضوا عن الغاوين وازجروا العاوين وعرجوا عن سبيل الناكثين الى سنن المهتدين وأمسكوا الالسنة عن السابقين الى الدين وإياكم ان تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد هلك من كان اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصمه دعوا ما مضى فقد قضى الله فيه ما قضى وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقادا وعملا ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ماجن اتخذ الدين هملا فإن الله لا يضيع اجر من احسن عملا ورحم الله الربيع بن خثيم فإنه لما قيل له قتل الحسين قال اقتلوه قالوا نعم فقال اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون " الزمر 46 " ولم يزد على هذا أبدا فهذا العقل والدين والكف عن احوال المسملين والتسليم لرب العالمين

قاصمة

قال قيل إنما يكون ذلك في المعاني التي تشكل وأما هذه الامور كلها فلا إشكال فيها لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نص على استخلاف علي بعده فقال أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وقال اللهم وال من والاه وعاد من عاداه

وانصر من نصره واخذل من خذله فلم يبق بعد هذا خلاف لمعاند

فتعدى عليه ابو بكر واقتعد في غير موضعه

ثم خلفه في التعدي عمر

ثم رجا ان يوفق عمر للرجوع إلى الحق فأبهم الحال وجعلها شورى قصرا للخلاف للذي سمع من النبي

صلى الله عليه وآله وسلم
ثم تحيل ابن عوف حتى ردها عنه الى عثمان
ثم قتل عثمان لتسوره على الخلافة وعلى أحكام الشريعة وصار الامر الى علي بالحق الالهي النبوي فنازعه من عاقده وخالف عليه من بايعه ونقض عهده من شده
وانتدب اهل الشام مع معاوية الى الفسوق في الدين بل الكفر
وهذه حقيقة مذهبهم أن الكل منهم كفرة لأن من
مذهبهم التكفير بالذنوب وكذلك تقول هذه الطائفة التي تسمى
بالإمامية إن كل عاص بكبيرة كافر على رسم القدرية ولا أعصى من الخلفاء المذكورين ومن ساعدهم على أمرهم وأصحاب محمد صلى الله عليه وىله وسلم احرص الناس على دنيا وأقلهم
حماية على دين واهدمهم لقاعدة وشريعة
عاصمة
قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه يكفيك من شر سماعه فكيف التململ به خمسمائة عام عدا الى يوم مقالي هذا لا ينقص منها يوما ولا يزيد يوما وهو مهل شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة وماذا يرجى بعد التمام الا النقص
ما رضيت النصارى واليهود في اصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل فما يرجى من هؤلاء وما يستبقى منهم وقد قال الله تعالى وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا " سورة النور 55 " وهذا قول صدق ووعدحق وقد انقرض عصرهم ولا خلفة فيهم ولا تمكين ولا أمن ولا سكون الا في ظلم وتعد وغصب وهرج وتشتيت وإثارة ثائرة
وقد اجمعت الامة على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما نص
على احد يكون من بعده وقد قال العباس لعلي فيما روى عنه
عبدالله ابنه قال عبدالله بن عباس خرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس يا ابا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اصبح بحمدالله بارئا فأخذ بيده العباس بن عبدالمطلب فقال له أنت والله بعد ثلاث عبدالعصا وإني والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا إني الأعرف وجوه بني عبدالمطلب عند الموت اذهب بنا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلنسأله فيمن يكون هذا الامر

بعده فإن كان فينا علمنا ذلك وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا فقال علي إنا والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده وإني والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه رأي العباس عندي أصح وأقرب الى الاخرة والتصريح بالتحقيق وهذا يبطل قول مدعي الاشارة باستخلاف علي فكيف ان يدعى فيه نص

فأما ابو بكر فقد جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمرها أن ترجع اليه قالت له فإن لم اجدك كأنها تعني الموت قال تجدين أبا بكر

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمر وقد وقع بينه أي بين عمر وبين ابي بكر كلام فتمعر وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى اشفق من ذلك ابو بكر وقال النبي صلى الله عليه وسلم هل انتم تاركو لي صاحبي مرتين إني بعثت اليكم فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت الا إني ابرا الى كل خليل من خلته

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كنت متخذا في الاسلام خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخي وصاحبي

وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا لا يبقين في المسجد خوخة الا خوخة ابي بكر

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينما انا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع منها ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس يترع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن

وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهما فرجف بهم فقال اثبت احد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير ان يكونوا انبياء فإن يكن في أمتي منهم

احد فعمر

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة رضي الله عنها في مرضه ادعى لي أبا بكر واخاك حتى اكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول انا اولى ويابى الله والمؤمنون الا أبا بكر

وقال ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله إني أرى الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل فأرى الناس يتكففون بأيديهم فالمستكثر والمستقل وأرى سببا واصلا من السماء الى الأرض فأراك اخذت به فعلوت ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم اخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل له فعلا وذكر الحديث ثم عبرها ابو بكر فقال وأما السبب الواصل من

السماء إلى الأرض فالحق الذي انت عليه فأخذته فيعليك الله ثم يأخذ به رجل آخر بعدك فيعلو به ثم يأخذه رجل آخر فيعلو به ثم يأخذه رجل آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به

وصح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ذات يوم من رأى منكم رؤيا فقال رجل انا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت انت وأبو بكر فرجحت ووزن ابو بكر وعمر فرجح ابو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فرأينا الكراهية في وجه رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

وهذه الأحاديث جبال في البيان وحبال في التسبب إلى الحق لمن وفقه الله ولو لم يكن معكم ايها السنية الا قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار " التوبة 40 " فجعلها في نصيف وجعل ابا بكر في نصيف آخر وقام معه جميع الصحابة

وإذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفى منها حال الخلفاء في خلالهم وولايتهم وترتيبهم خصوصا وعموما وقد قال الله تعالى وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا " سورة النور 55 " وإذا لم ينفذ هذا الوعد في الخلفاء فلمن ينفذ وإذا لم يكن فيهم ففيمن يكون والدليل عليه انعقادالاجماع انه لم يتقدمهم في الفضيلة أحد إلى يومنا هذا وما بعدهم مختلف فيه وأولئك مقطوع بهم متيقن إمامتهم ثابت نفوذ وعد الله لهم فإنهم ذبوا عن حوزة المسلمين وقاموا بسياسة الدين قال علماؤنا ومن بعدهم تبع لهم من الائمة الذين هم أركان الملة

ودعائم الشريعة الناصحون لعبادالله الهادون من استرشد الله فأما من كان من الولاة الظلمة فضرره مقصور على الدنيا وأحكامها وأما حفاظ الدين فهم الائمة العلماء الناصحون لدين الله وهم اربعة أصناف الصنف الأول حفظوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم بمنزلة الخزان لأقوات المعاش

الصنف الثاني علماء الاصول ذبوا عن دين الله أهل العناد وأصحاب البدع فهم شجعان الاسلام وأبطاله المداعسون عنه في مآزق الضلال الصنف الثالث قوم ضبطوا أصول العبادات وقانون المعاملات وميزوا المحللات من المحرمات وأحكموا الجراح والديات وبينوا معاني الايمان والمنذورات وفصلوا الاحكام في الدعاوى فهم في الدين بمنزلة الوكلاء المتصرفين في الاموال الصنف الرابع تجردوا للخدمة ودابوا على العبادة واعتزلوا الخلق وهم في الاخرة كخواص الملك في الدنيا

وقد اوضحنا في كتاب " سراج المريدين " في القسم الرابع من علوم القرآن أي المنازل افضل من هؤلاء الاصناف وترتيب درجاتهم

قال القاضي أبو بكر " رضي الله عنه " وهذه كلها إشارات أو تصريحات او دلالات أو تنبيهات ومجموع ذلك يدل على صحة ما جرى وتحقيق ما كان من العقلاء

ونقول بعد هذا البيان على مقام آخر لو كان هنالك نص على أبي بكر أو على علي لم يكن بد من احتجاج علي به او يحتج له

به غيره من المهاجرين والانصار فأما حديث غدير خم فلا حجة فيه لأنه إنما استخلفه في حياته على المدينة كما استخلف موسى هارون في حياته عند سفره للمناجاة على بني إسرائيل وقد اتفق الكل من إخوانهم اليهود قاطبة على ان موسى مات بعد هارون فأين الخلافة

وأما قوله اللهم وال من والاه فكلام صحيح ودعوة مجابة وما يعلم احد عاداه الا الرافضة فإنهم انزلوه في غير مترلته ونسبوا اليه ما لايليق بدرجته والزيادة في الحد نقصان من المحدود ولو تعدى عليه أبو بكر ما كان المتعدى وحده بل جميع الصحابة كما قلنا لانهم ساعدوه على الباطل

ولا تستغربوا هذا من قولهم فإنهم يقولون ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مداريا لهم وممتحنا بهم على نفاق وتقية وأين انت من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع قول عائشة رضي الله عنها مروا عمر فليصل بالناس انكن لأنتن صواحب يوسف مروا

أبا بكر فليصل بالناس وما قدمنا من تلك الأحاديث

لقد اقتحموا عظيما ولقد افترا كبيرا وما جعلها عمر شورى الا إقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبأبي بكر إذ قال إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني وأن لم استخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف فما رد هذه الكلمات احد وقال اجعلها شورى في النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض وقد رضى الله عن أكثر منهم ولكنهم كانوا خيار الرضا وشهد لهم بالاهلية للخلافة

وأما قولهم تحيل ابن عوف حتى ردها لعثمان فلئن كانت حيلة و لم يكن سواها فلأن الحول ليس اليه وإذا كان عمل العباد حيلة او كان القضاء بالحول فالحول والقوة لله وقد علم كل احد انه لا يليها الا واحد فاستبد عبد الرحمن بن عوف بالأمر بعد ان اخرج نفسه على ان يجتهد للمسلمين في الاسد والاشد فكان كما فعل وولاها من استحقها و لم يكن غيره اولى منه بها حسبما بينا في مراتب الخلافة من أنوار الفجر وفي غيره من كتب الحديث

وقتل عثمان فلم يبق عل الارض احق بها من علي فجاءته على قدر في وقتها ومحلها وبين الله على يديه من الاحكام والعلوم ما شاء الله أن يبين وقد قال عمر لولا علي لهلك عمر وظهر من فقهه وعلمه في قتال أهل القبلة من استدعائهم ومناظرتهم وترك مبادرتهم والتقدم اليهم قبل نصب الحرب معهم وندائه لا

تبدأوا بالحرب ولا يتبع حول ولا يجهز على جريح ولا تهاج امراة و لم يغنم لهم مالا وامره بقبول شهاداتهم والصلاة خلفهم حتى قال اهل العلم لولا ما جرى ما عرفنا حكم قتال اهل البغي

وأما خروج طلحة والزبير فقد تقدم بيانه

وأما تكفيرهم للخلق فهم الكفار وقد بينا احوال أهل الذنوب الذين ليس منهم عليها شر في غير ما كتاب وشرحناها في كل باب

فإن قيل فقد قال العباس في علي ما رواه الائمة أن العباس وعليا اختصما عند عمر في شأن اوقاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال العباس لعمر يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الظالم الكاذب الغادر الآثم

الخائن فقال الرهط لعمر يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح احدهما من الاخر فقال عمر انشدكم الله الذي بإذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا قد قال ذلك فأقبل على العباس وعلي فقال أنشدكما الله هل تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك قالا نعم قال عمر ان الله خص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الفيء بشيء لم يعطه احدا غيره فعمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياته ثم توفي فقال ابو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقبضها سنتين في إمارته فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنتما تزعمان ان أبا بكر كاذب غادر خائن والله ليعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق وذكر الحديث

قلنا أما قول العباس لعلي فقول الاب للابن وذلك على الرأس محمول وفي سبيل المغفرة مبذول وبين الكبار والصغار فكيف الاباء والابناء مغفور موصول وأما قول عمر انهما اعتقدا أن أبا بكر ظالم خائن غادر وكذلك اعتقدا فيه فإنما ذلك خبر عن الاختلاف في نازلة وقعت من الاحكام راى فيها هذا رايا ورأى فيها أولئك رأيا فحكم أبو بكر

وعمر بما رأيا و لم ير العباس وعلي ذلك ولكن لما حكما سلما لحكمهما كما يسلم لحكم القاضي في المختلف فيه وأما المحكوم عليه فرأى أنه قد وهم ولكن سكت وسلم

فإن قيل إنما يكون ذلك في أول الحال والأمر لم يظهر إذا كان الحكم باجتهاد وأنما كان هذا الحكم على منع فاطمة والعباس الميراث بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا نورث ما تركناه صدقة وعلمه أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه العشرة وشهدوا به فبطل ما قلتموه

قلنا يحتمل ان يكون ذلك في اول الحال والأمر لم يظهر بعد فرايا أن خبر الواحد في معارضة القرآن والاصول والحكم المشهور في الزمن لا يعمل به حتى يتقرر الامر فلما تقرر سلما وانقادا بدليل ما قدمنا

من الحديث الصحيح الى آخره فلينظر فيه وهذا أيضا ليس بنص في المسألة لأن قوله لا نورث ما تركنا صدقة يحتمل ان يكون لا يصح ميراثنا ولا أنا اهل له لانه ليس لي ملك ولا تلبست بشيء من الدنيا ينتقل الى غيري عني ويحتمل لا نورث حكم وقوله ما تركنا صدقة حكم آخر معين اخبر به انه قد انفذ الصدقة فيما كان بيده من سهمه المتصير اليه بتسويغ الله له وكان من ذلك مخصوصا بما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب وكان له سهمه مع المسلمين فيما غنموه بما أخذوه عنوة ويحتمل ان يكون صدقة منصوبا على ان يكون حالا من المتروك والى هذا أشار اصحاب ابي حنيفة وهو ضعيف وقد بيناه في موضعه بيد انه ياتيك من هذا ان المسألة مجرى الخلاف ومحل الاجتهاد وأنها ليست بنص من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتحتمل التصويب والتخطئة من المجتهدين والله أعلم

قاصمة

ثم قتل علي قالت الرافضة فعهد الى الحسن فسلمها الحسن الى معاوية فقيل له مسود وجوه المؤمنين وفسقته جماعة من الرافضة وكفرته طائفة لاجل ذلك

عاصمة

قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه أما قول الرافضة انه عهد الى الحسن فباطل ما عهد الى احد ولكن البيعة للحسن منعقدة وهو أحق من معاوية ومن كثير من غيره وكان خروجه لمثل ما خرج اليه أبوه من دعاء الفئة الباغية الى الانقياد للحق والدخول في الطاعة فآلت الوساطة الى أن تخلى عن الامر صيانة لحقن دماء الامة وتصديق الوعد

نبي الملحمة حيث قال على المنبر ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فنفذ الميعاد وصحت البيعة لمعاوية وذلك لتحقيق رجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمعاوية خليفة وليس بملك.

فإن قيل فقد روى عن سفينة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الخلافة ثلاثون سنة ثم تعود ملكا فإذا عددنا من ولاية أبي بكر الى تسليم الحسن كانت ثلاثين سنة لا تزيد ولا تنقص يوما قلنا ... خذ ما تره ودع شيئا سمعت به ... في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل ... هذا الحديث في ذكر الحسن بالبشارة والثناء عليه لجريان الصلح

على يديه وتسليم الأمر لمعاوية عقد منه له

وهذا حديث لا يصح ولو صح فهو معارض بهذا الصلح

المتفق عليه فوجب الرجوع اليه

فإن قيل الم يكن في الصحابة أقعد بالأمر من معاوية

قلنا كثير ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال وهي ان عمر جمع
له الشامات كلها وافرده بها لما رأى من حسن سيرته وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور وإصلاح الجند والظهور على العدو
وسياسة الخلق وقد شهد له في صحيح
الحديث بالفقه وشهد بخلافته في حديث أم حرام ان ناسا من آمنه
يركبون ثبج البحر الاخضر ملوكا على الاسرة او مثل الملوك على الأسرة وكان ذلك في ولايته
ويحتمل ان تكون مراتب في الولاية خلافة ثم ملك فتكون ولاية الخلافة للأربعة وتكون ولاية الملك لابتداء معاوية وقد قال الله في
داود وهو خير من معاوية وآتاه الله الملك والحكمة البقرة 251 فجعل النبوة ملكا فلا تلتفتوا الى احاديث ضعف سندها ومعناها ولو اقتضت الحال النظر في الامور لكان والله أعلم رأي آخر
للجمهور ولكن انعقدت البيعة لمعاوية بالصفة التي شاءها الله على الوجه الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مادحا له راضيا عنه راجيا هدنة الحال فيه لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين
وقد تكلم العلماء في إمامة المفضول مع وجود من هو أفضل منه فليست المسألة في الحد الذي تجعله فيه العامة وقد بيناها في موضعها
فإن قيل فقد قتل حجر بن عدي وهو من الصحابة مشهور بالخير صبرا اسيرا بقول زياد وبعثت اليه عائشة في أمره فوجدته قد فات بقتله قلنا قد علمنا قتل حجر كلنا واختلفنا فقائل يقول قتله ظلما وقائل يقول قتله حقا
فإن قيل الاصل قتله ظلما إلا ما إذا ثبت عليه ما يوجب قتله قلنا الاصل ان قتل الامام بالحق فمن ادعى انه بالظلم فعليه الدليل ولو كان ظلما محضا لما بقي بيت الا لعن فيه معاوية وهذه مدينة السلام دار خلافة بني العباس وبينهم وبين بني أمية ما لا يخفى على الناس مكتوب على أبواب مساجدها خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم معاوية خال المؤمنين رضي الله عنهم
ولكن حجرا فيما يقال رأى من زياد أمورا منكرة فحصبه وخلعه وأراد ان يقيم الخلق للفتنة فجعله معاوية ممن سعى في الارض فسادا وقد كلمته عائشة في أمره حين حج فقال لها دعيني وحجرا حتى نلتقي عند الله وأنتم معشر المسلمين أولى ان تدعوهما حتى يقفا بين يدي الله مع صاحبهما العدل الامين المصطفى المكين وأنتم ودخولكم حيث لا تشعرون فما لكم لا تسمعون

فإن قيل قد دس على الحسن من سمه

قلنا هذا محال من وجهين أحدهما انه ما كان ليتقى من الحسن بأسا وقد سلم الامر الثاني أنه أمر مغيب لا يعلمه الا الله فكيف تحملونه بغير بينه على أحد من خلقه في زمان متباعد لم نثق فيه بنقل ناقل بين أيدي قول ذوي أهواء وفي حال فتنة وعصبية ينسب كل واحد الى صاحبه مالا ينبغي فلا يقبل منها الا الصافي ولا يسمع فيها الا من العدل الصميم

فإن قيل فقد عهد الى يزيد وليس بأهل وجرى بينه

وبين عبدالله ابن عمر وابن الزبير والحسين ما نصه عن وهب بن جرير ابن حازم عن ابيه وعن غيره لما أجمع معاوية ان يبايع لابنه يزيد حج فقدم مكة في نحو ألف رجل فلما دنا من المدينة خرج ابن عمر وابن الزبير وعبدالرحمن بن ابي بكر فلما قدم معاوية المدينة صعدا لمنبر فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر ابنه يزيد فقال من احق بهذا الامر منه ثم ارتحل

فقدم مكة فقضى طوافه ودخل مترله فبعث الى ابن عمر فتشهد وقال أما بعد يا ابن عمر فقد كنت تحدثني انك لا تحب ان تبيت ليلة سوداء ليس عليك أمير وإني احذرك ان تشق عصا المسلمين وان تسعى في فساد ذات بينهم فلما سكت تكلم ابن عمر فحمد الله واثنى عليه ثم قال أما بعد فإنه قد كانت قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير منهم فلم يروا في ابنائهم ما رأيت في ابنك ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار وإنك تحذرني ان اشق عصا المسلمين و لم أكن لأفعل وإنما انا رجل من المسلمين فإذا اجتمعوا على امر فإنما انا واحد منهم فخرج ابن عمر

وأرسل الى عبدالرحمن بن ابي بكر فتشهد ثم أخذ في الكلام

فقطع عليه كلامه فقال إنك والله لوددت انا وكلناك في أمر ابنك الى الله وانا والله لا نفعل والله لتردن هذا الامر شورى في المسلمين او لتفرنها عليك جذعة ثم وثب فقام فقال معاوية اللهم اكفينيه بما شئت ثم قال على رسلك ايها الرجل لا تشرفن لاهل الشام فإني اخاف ان يسبقوني بنفسك حتى أخبر العشية انك قد بايعت ثم كن بعد ذلك على ما بدا لك من امرك

ثم ارسل الى ابن الزبير فقال يا ابن الزبير إنما انت ثعلب رواغ كلما خرج من جحر دخل في آخر وإنك عمدت الى هذين الرجلين فنفخت في مناخرهما فقال ابن الزبير إن كنت قد مللت الامارة فاعتزلها وهلم ابنك فنلبايعه أرأيت إذا بايعت ابنك معك لأيكما نسمع لأيكما نطيع لا تجتمع البيعة لكما أبدا ثم قام فخرج معاوية فصعد المنبر فقال إنا وجدنا احاديث الناس ذوات عوار زعموا ان ابن عمر وابن الزبير وابن ابي بكر لم يبايعوا يزيد قد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له

فقال أهل الشام لا والله لا نرضى حتى يبايعوا على رؤوس الاشهاد والا ضربنا اعناقهم

فقال سبحان الله ما أسرع الناس الى قريش بالشر لا أسمع هذه المقالة من احد بعداليوم ثم نزل فقال الناس بايعوا ويقولون هم لم نبايع ويقول الناس قد بايعتم وروى وهب من طريق أخرى قال خطب معاوية فذكر ابن عمر فقال والله ليبايعن أو لأقتلنه فخرج عبد الله بن عبدالله بن عمر الى ابيه وسار الى مكة ثلاثا وأخبره فبكى ابن عمر فبلغ الخبر الى عبدالله ابن صفوان فدخل على ابن عمر فقال اخطب هذا بكذا قال نعم قال فما تريد اتريد قتاله قال يا ابن صفوان الصبر خير من ذلك فقال ابن صفوان والله لئن أراد ذلك لاقاتلنه فقدم معاوية مكة فنزل ذا طوى وخرج اليه عبدالله بن صفوان فقال انت تزعم انك تقتل ابن عمر إن لم يبايع لابنك قال أنا اقتل ابن عمر إني والله لا اقتله

وروى وهب من طريق ثالث قال إن معاوية لما راح عن بطن مر قاصدا الى مكة قال صاحب حرسه لا تدع احدا يسير معي الا من حملته فخرج يسير وحده حتى إذا كان وسط الاراك لقيه الحسين بن علي فوقف وقال مرحبا وأهلا بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد شباب المسلمين دابة لأبي عبدالله يركبها فأتى ببرذون فتحول عليه ثم طلع عبدالرحمن بن ابي بكر فقال مرحبا بابن شيخ قريش وسيدهم

وابن صديق هذه الامة دابة لأبي محمد يركبها فأتى ببرذون فركبه ثم طلع ابن عمر فقال مرحبا وأهلا بصاحب رسول الله وابن الفاروق وسيد المسلمين ودعا له بدابة فركبها ثم طلع ابن الزبير فقال مرحبا وأهلا بابن حواري رسول الله وابن الصديق وابن عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له بدابة فركبها ثم أقبل يسير بينهم لا يسايره غيرهم حتى دخل مكة ثم كانوا اول داخل وآخر خارج ليس في الارض صباح الا لهم فيه حباء وكرامة ولا يعرض لهم بذكر شيء مما هو فيه حتى قضى نسكه وترحلت اثقاله وقرب مسيره الى الشام وأنيخت رواحله فأقبل بعض القوم على بعض فقالوا أيها القوم لا تخدعوا إنه والله ما صنع هذا لحبكم ولا لكرامتكم ولا صنعه الا لما يريد فاعدوا له جوابا واقبلوا على الحسين فقالوا أنت يا أبا عبدالله قال وفيكم شيخ قريش وسيدها وهو أحق بالكلام فقالوا انت يا أبا محمد لعبدالرحمن بن ابي بكر فقال لست هناك وفيكم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن سيد المسلمين يعني ابن علي فقالوا لابن عمر انت فقال لست بصاحبكم ولكن ولوا الكلام ابن الزبيريكفكم قالوا أنت يا ابن الزبير قال نعم إن اعطيتموني عهودكم ومواثيقكم ان لا تخالفوني كفيتكم الرجل فقالوا فلك ذلك فخرج الاذن فأذن لهم فدخلوا

فتكلم معاوية فحمد الله واثنى عليه ثم قال لقد علمتم سيرتي فيكم وصلتي لارحامكم وصفحي عنكم وحملي لما يكون منكم ويزيد ابن أمير المؤمنين اخوكم وابن عمكم واحسن الناس لكم رايا وإنما اردت ان تقدموه باسم الخلافة وتكونوا انتم الذين تنزعون وتؤمرون وتجبون وتقسمون لايدخل عليكم في شيء من

ذلك
فسكت القوم فقال الا تجيبوني فسكت القوم فقال الا تجيبوني فسكتوا فاقبل على ابن الزبير فقال هات يا ابن الزبير فانك لعمري صاحب خطبة القوم فقال نعم يا أمير المؤمنين اخيرك بين ثلاث خصال ايها اخذت فهي لك رغبة قال لله ابوك اعرضهن قال إن شئت صنعت
ما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن شئت صنعت ما صنع ابو بكر فهو خير هذه الامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن شئت صنعت ما صنع عمر فهو خير هذه الامة بعد أبي بكر قال لله أبوك ما صنعوا قال قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يستخلف أحدا فارتضى المسلمون أبا بكر فإن شئت ان تدع أمر هذه الامة حتى يقضي الله فيه قضاءه فيختار المسلمون لأنفسهم فقال اليه ليس فيكم اليوم مثل ابي بكر وإني لا آمن عليكم الاختلاف قال فاصنع كما صنع ابو بكر عهد الى رجل من قاصبة قريش ليس من بني ابيه فاستخلفه قال لله ابوك الثالثة قال تصنع ما صنع عمر جعل الامر شورى في ستة نفر من قريش ليس احد منهم من ولد ابيه قال هل عندك غير هذا قال لا قال فأنتم قالوا ونحن أيضا قال أما لا فإني احببت ان اتقدم اليكم إنه قد اعذر من انذر وإنه قد كان يقوم القائم منكم الى فيكذبني على رؤوس الناس فاحتمل له ذلك وإني قائم بمقالة فإن صدقت فلي صدقي وإن كذبت فعلي كذبي وإني اقسم بالله لكم لئن رد على إنسان منكم لا ترجع اليه كلمته حتى يسبق الى رأسه ثم دعا بصاحب حرسه فقال اقم على كل رجل من هؤلاء رجلين من حرسك فإن ذهب رجل يرد على كلمة بصدق أو كذب فليضرباه بسيفيهما
ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يستبد بامر دونهم ولا يقضى أمرا الا عن مشورتهم وانهم قد ارتضوا وبايعوا ليزيد ابن امير المؤمنين من بعده فبايعوا باسم الله فضربوا على يده ثم جلس على راحلته وانصرف
فلقيهم الناس فقالوا زعمتم وزعمتم فلما ارضيتم وجبيتم فعلتم قالوا إنا والله ما فعلنا قال فما منكم ان ترددوا على الرجل إذ كذب ثم بايع اهل المدينة والناس ثم خرج الى الشام
قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه لسنا ننكر ولا تبلغ بنا الجهالة ولا لنا في الحق حمية جاهلية ولا ننطوى على غل لأحد من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل نقول ربنا اغفر لن ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم الا انا تقول إن معاوية ترك الافضل في ان يجعلها شورى والا يخص بها احدا من قرابته فكيف ولدا وان يقتدى بما أشار به عبدالله بن الزبير في الترك او الفعل فعدل الى ولاية ابنه وعقد له
البيعة وبايعه الناس وتخلف عنها من تخلف فانعقدت البيعة شرعا لانها تنعقد بواحد وقيل باثنين

فإن قيل لمن فيه شروط الامامة قلنا ليس السن في شروطها و لم يثبت انه يقصر يزيد عنها
فإن قيل كان منها العدالة والعلم و لم يكن يزيد عدلا و عالما قلنا وبأي شيء نعلم عدم علمه او عدم عدالته ولو كان مسلوبهما لذكر ذلك الثلاثة الفضلاء الذين أشاروا عليه بان لا يفعل وإنما رموا الى الامر بعيب التحكم وأرادوا ان تكون شورى
فإن قيل كان هنالك من هو احق منه عدالة وعلما منهم مائة وربما الف قلنا إمامة المفضول كما قدمنا مسألة خلاف بين العلماء على ذكر العلماء في موضعه
وقد حسم البخاري الباب ونهج جادة الصواب فروى في صحيحه ما يبطل جميع هذا المتقدم وهو أن معاوية خطب وابن عمر حاضر في خطبته فيما رواه البخاري عن عكرمة بن خالد ان ابن عمر قال دخلت على حفصة ونوساتها تنطف قلت قد كان من الأمر ما ترين فلم يجعل
لي من الامر شيء فقالت الحق فإنهم ينتظرونك وأخشى ان يكون في احتباسك عنهم فرقة فلم تدعه حتى ذهب فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال من كان يريد ان يتكلم في هذا الامر فليطلع لنا قرنه فلنحن احق به منه ومن ابيه قال حبيب بن مسلمة فهلا اجبته قال عبدالله فحللت حبوتي وهممت ان اقول احق بهذا الامر منك من قاتلك وأباك على الاسلام فخشيت ان اقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم وتحمل عنى غير ذلك فذكرت ما اعد الله في الجنان فقال حبيب حفظت وعصمت
وروى البخاري أن اهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده وقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله وإني لا أعلم غدرا اعظم من ان نبايع رجلا على
بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتال وإني لا أعلم احدا منكم خلعه ولا بايع في هذا الامر الا كنت الفيصل بيني وبينه
فانظروا معشر المسلمين الى ما روى البخاري في الصحيح والى ما سبق ذكرنا له من رواية بعضهم ان عبد الله بن عمر لم يبايع وأن معاوية كذب وقال قد بايع وتقدم الى حرسه يأمره بضرب عنقه إن كذبه وهو قد قال في رواية البخاري قد بايعناه على بيع الله ورسوله وما بينهما من التعارض وخذوا لأنفسكم بالأرجح في طلب السلامة والخلاص بين الصحابة والتابعين فلا تكونوا و لم تشاهدوهم وقد عصمكم الله من فتنتهم ممن دخل بلسانه في دمائهم فيلغ فيها ولوغ الكلب بقية الدم على الأرض بعد رفع الفريسة بلحمها و لم يلحق الكلب منها الا بقية دم سقط على الأرض
وروى الثبت العدل عن عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان عن محمد ابن المنكدر قال قال ابن عمر حين بويع يزيد ان كان خيرا رضينا وإن كان شرا صبرنا

وثبت عن حميد بن عبدالرحمن قال دخلنا على رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين استخلف يزيد بن معاوية فقال تقولون ان يزيد ابن معاوية ليس بخير امة محمد لا افقهها فيها فقها ولا أعظمها فيها شرفا وأنا أقول ذلك ولكن والله لأن تجتمع امة محمد احب الي من ان نفترق ارأيتم بابا دخل فيه أمة محمد ووسعهم أكان بعجز عن رجل واحد لو كان دخل فيه قلنا لا قال أرأيتم لو أن أمة محمد قال كل رجل منهم لا أريق دم اخي ولا آخذ ماله اكان هذا يسعهم قلنا نعم قال فذلك ما أقول لكم ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يأتيك من الحياء الا خير

فهذه الاخبار الصحاح كلها تعطيك أن ابن عمر كان مسلما في أمرة يزيد وانه بايع وعقد له والتزم ما التزم الناس ودخل فيما دخل فيه المسلمون وحرم على نفسه ومن اليه بعد ذلك ان يخرج على هذا او ينقضه

وظهر لك ان قول من قال إن معاوية كذب في قوله بايع ابن عمر و لم يبايع وان ابن عمر واصحابه سئلوا فقالوا لم نبايع فقد كذب وقد صدق البخاري في روايته قول معاوية على المنبر ان ابن عمر قد بايع بإقرار ابن عمر بذلك وتسليمه له وتماديه عليه

فأي الفريقين احق بالصدق إن كنتم تعلمون ألفريق الذي فيه البخاري ام الذي فيه غيره

فخذوا لأنفسكم بالاحزم والاصح او اسكتوا عن الكل والله يتولى توفيقكم وحفظكم

والصاحب الذي كنى عنه حميد بن عبدالرحمن هو ابن عمر والله أعلم وإن كان غيره فقد اجمع رجلان عظيمان على هذه المقالة وهي تعضد ما أصلناه لكم من ان ولاية المفضول نافذة وإن كان هنالك من هو افضل منه إذا عقدت له ولما في حلها أو طلب الافضل من استباحة ما لا يباح وتشتيت الكلمة وتفريق امر الامة

فإن قيل كان يزيد خمارا قلنا لا يحل الا بشاهدين فمن شهد بذلك عليه بل شهدالعدول بعدالته فروى يحيى بن بكير عن الليث

ابن سعد قال الليث توفي أمير المؤمنين يزيد في تاريخ كذا فسماه

الليث امير المؤمنين بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم ولولا كونه عنده كذلك ما قال الا توفي يزيد

فإن قيل ولو لم يكن ليزيد الا قتله للحسين بن علي قلنا يا أسفا على المصائب مرة ويا أسفا على مصيبة الحسين الف مرة بوله يجري على صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودمه يراق على البوغاء ولا يحقن يا لله ويا للمسلمين وان امثل ما روى فيه ان يزيد كتب الى الوليد بن عتبة ينعى له معاوية ويأمره ان يأخذ له البيعة على اهل المدينة وقد كانت تقدمت فدعا مروان فأخبره فقال له ارسل الى الحسين بن علي وابن الزبير فإن بايعوا والا فاضرب اعناقهم قال سبحان الله تقتل الحسين بن علي وابن الزبير قال هو ما

أقول لك فأرسل اليهما فأتاه ابن الزبير فنعى اليه معاوية وسأله البيعة فقال ومثلي يبايع هنا ارق المنبر وأنا ابايعك مع الناس علانية فوثب مروان وقوال اضرب عنقه فإنه صاحب فتنة وشر فقال ابن الزبير فإنك لهنالك يا ابن الزرقاء واستبا فقال الوليد اخرجهما عني وارسل الى الحسين و لم يكلمه بكلمة في شيء وخرجا من عنده وجعل الوليد عليهما الرصد فلما دنا الصبح خرجا مسرعين الى مكة فالتقيا بها فقال له ابن الزبير ما يمنعك من شيعتك وشيعة ابيك فوالله لو ان لي مثلهم لذهبت اليهم فهذا ما صح

وذكر المؤرخون ان كتب اهل الكوفة وردت على الحسين وانه

أرسل مسلم بن عقيل ابن عمه اليهم ليأخذ عليهم البيعة وينظر هو في اتابعه فنهاه ابن عباس وأعلمه انهم خذلوا اباه واخاه وأشار عليه ابن الزبير بالخروج فخرج فلم يبلغ الكوفة الا ومسلم بن عقيل قد قتل وأسلمه من كان استدعاه ويكفيك بهذا عظة لمن اتعظ فتمادى واستمر غضبا للدين وقياما بالحق ولكنه رضي الله عنه لم يقبل نصيحة أعلم اهل

زمانه ابن عباس وعدل عن رأي شيخ الصحابة ابن عمر

وطلب الابتداء في الانتهاء والاستقامة من اهل الاعوجاج ونضارة الشيبة في هشيم المشيخة ليس حوله مثله ولا له من الانصار من يرعى حقه ولا من يبذل نفسه دونه فأردنا ان نطهر الارض من خمر يزيد فارقنا دم الحسين فجاءتنا مصيبة لا يجبرها سرور الدهر

وما خرج اليه احد الا بتأويل ولا قاتلوه الا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل المخبر بفسادالحال المحذر عن الدخول في الفتن وأقواله في ذلك كثيرة منها ما روى مسلم عن زياد بن علاقة عن عرفجة بن شريح

قوله صلى الله عليه وآله وسلم إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد ان يفرق أمر هذه الامة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان فما خرج الناس الا بهذا وأمثاله ولو ان عظيمها وابن عظيمها وشريفها وابن شريفها الحسين يسعه بيته او ضيعته او ابله ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق وفي جملتهم ابن عباس وابن عمر لم يلتفت اليهم وحضره ما أنذر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما قال في أخيه ورأى انها قد خرجت عن اخيه ومعه جيوش الارض وكبار الخلق يطلبونه فكيف ترجع اليه بأوباش الكوفة وكبار الصحابة ينهونه وينأون عنه و ما أدرى في هذا الا التسليم لقضاء الله والحزن على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقية الدهر ولولا معرفة اشياخ الصحابة وأعيان الامة بأنه أمر صرفه الل عن أهل البيت وحال من الفتنة لا ينبغي لاحد ان يدخلها ما أسلموه ابدا

وهذا احمد بن حنبل على تقشفه وعظيم منزلته في الدين وورعه قد ادخل عن يزيد بن معاوية في كتاب الزهد انه كان يقول في خطبته إذا مرض احدكم مرضا فأشفى ثم تماثل فلينظر الى افضل عمل عنده

فليلزمه ولينظر الى أسوأ عمل عنده فليدعه وهذا يدل على عظيم منزلته عنده حتى يدخله في جملة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين يقتدى بقولهم

ويرعوى من وعظهم ونعم ما ادخله الا في جملة الصحابة قبل ان يخرج الى ذكر التابعين فأين هذا من ذكر المؤرخين له في الخمر وأنواع الفجور الا تستحيون وإذا سلبهم الله المروءة والحياء الا ترعوون انتم وتزدجرون وتقتدون بالاحبار والرهبان من فضلاء الامة وترفضون الملحدة والمجان من المنتمين الى الملة هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين والحمد لله رب العالمين

وانظروا الى ابن الزبير بعد ذلك وما دخل فيه من البيعة له بمكة والارض كلها عليه وانظروا الى ابن عباس وعقله وإقباله على امر نفسه

وانظروا الى ابن عمر وسنه وتسليمه للدنيا ونبذه لها ولو كان للقيام وجه لكان أولى بذلك ابن عباس فإنه ولدى اخيه عبيدالله قد ذكر انهما قتلا ظلما ولكن رأى بعقله ان دم عثمان لم يخلص اليه فكيف بدم ولدى عبيد الله وان الامر راهق قد خرجا عنه حفظا للأصل وهو اجتماع امر الامة وحقن دمائها وائتلاف كلمتها ودع الامر يتولاه اسود مجدع حسبما أمر به صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه وكل منهم عظيم القدر مجتهد وفيما دخل فيه مصيب مأجور ولله فيهم حكم في الدنيا قد انفذه وحكم في الاخرة قد احكمه وفرغ منه فاقدروا هذه الامور مقاديرها وانظروا بما قابلها ابن عباس وابن عمر فقابلوها ولا تكونوا من السفهاء الذين يرسلون السنتهم وأقلامهم بما لا فائدة لهم فيه ولا يغنى من الله ولا من دنياهم شيئا عنهم

وانظروا الى الائمة الاخيار وفقهاء الامصار هل أقبلوا على هذه الخرافات وتكلموا في مثل هذه الحماقات بل علموا انها عصبيات جاهلية وحمية باطلة لا تفيد الا قطع الحبل بين الخلق وتشتيت الشمل واختلاف الاهواء وقد كان ما كان وقال الأخباريون ما قالوا فاما سكوت وإما اقتداء بأهل العلم وطرح لسخافات المؤرخين والادباء والله يكمل علينا وعليكم النعماء برحمته

نكتة

وعجبا لاستكثار الناس ولاية بني امية وأول من عقد لهم الولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه ولى يوم الفتح عتاب بن أسيد ابن ابي العيص بن امية مكة حرم الله وخير بلاده وهو فتى السن قد ابقل أو لم يبقل واستكتب معاوية بن ابي سفيان امينا على وحيه ثم ولى ابو بكر يزيد بن ابي سفيان اخاه الشام وما زالوا بعد ذلك يتوقلون في سبيل المجد ويترقون في درج العز حت انهتهم الايام الى منازل الكرام وقد روى الناس احاديث فيهم لا اصل لها منها حديث رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بني امية يتزون على منبره كالقردة فعز ذلك عليه فأعطى ليلة القدر خير من الف شهر يملكها بنو أمية بعده ولو

كان هذا صحيحا ما استفتح الحال بولايتهم ولامكن لهم في الأرض بأفضل بقاعها وهي مكة وهذا اصل يجب ان تشد عليه اليد

فإن قيل احدث معاوية في الاسلام الحكم بالباطل والقضاء بما لا يحل من استلحاق زياد قلنا قد بينا في غير موضع ان استلحاق زياد إنما كان لاشياء صحيحة وعمل مستقيم نبينه بعد ذكر أمثل ما ادعى فيه المدعون من الانحراف عن الاستقامة إذ لا سبيل الى تحصيل باطلهم لأن خرق الباطل لا يرقع ولسانه اعظم منه فكيف به لا يقطع

قالوا كان زياد ينتسب الى عبيد الثقفي من سمية جارية الحارث ابن كلدة واشترى زياد عبيدا اباه بألف درهم فأعتقه

قال أبو عثمان النهدي فكنا نغبطه واستعمله عمر على بعض صدقات البصرة وقيل بل كتب لأبي موسى فلما لم يقطع الشهادة مع الشهود على المغيرة جلدهم وعزله وقال له ما عزلتك لخزية ولكني كرهت ان أحمل على الناس فضل عقلك ورووا أن عمر أرسله الى اليمن في اصلاح فساد فرجع وخطب خطبة لم يسمع مثلها فقال عمرو بن العاص أما والله لو كان هذا الغلام قرشيا لساق الناس بعصاه فقال ابو سفيان والله إني لأعرف الذي وضعه في رحم امه فقال له علي ومن قال انا قال مهلا يا أبا سفيان فقال ابو سفيان ابياتا من الشعر ... اما والله لولا خوف شخص ... يراني يا علي من الاعادي

لاظهر امره صخر بن حرب ... و لم تكن المقالة عن زياد ... وقد طالت مخاتلتي ثقيفا ... وتركي فيهم ... ثمر الفؤاد

فذلك الذي حمل معاوية واستعمله على علي فارس وحمى وجبي وفتح واصلح

وكاتبه معاوية يروم إفساده فوجه زياد بكتابه الى علي بشعر فكتب إليه علي إني وليتك ما وليتك وأنت أهل لذلك عندي ولن يدرك ما تريد بما أنت فيه الا بالصبر واليقين وإنما كانت من ابي سفيان فلتة ومن عمر لا تستحق بها نسبا ولا ميراثا وإن معاوية ياتي المؤمن بن بين يديه ومن خلفه فلما قرأ زيادالكتاب قال شهد لي أبو حسن ورب الكعبة فذلك الذي جرأ زيادا ومعاوية بما صنعا ثم ادعاه معاوية سنة اربع واربعين وزوج معاوية ابنته من ابنه محمد وبلغ الخبر ابا بكرة اخاه لأمه فآلى يمينا الا يكلمه ابدا وقال هذا زنى امه وانتفى من ابيه والله ما رأت سمية أبا سفيان قط وكف وكيف يفعل بأم حبيبة أيراها فيهتك حرمة رسول الله وإن حجبته فضحته فقال زياد جزى الله أبا بكرة خيرا فإنه لم يدع النصيحة في حال وتكلم فيه الشعراء ورووا عن سعيد بن المسيب انه قال اول قضاء كان في الاسلام بالباطل استلحاق زياد

قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه قد بينا في غير موضع هذا الخبر وتكلمنا عليه بما يغني عن إعادته ولكن لا بد في هذه الحالة من بيان المقصود منه فنقول

كل ما ذكرتم لا ننفيه ولا نثبته لأنه لا يحتاج اليه والذي ندريه حقا ونقطع عليه علما ان زيادا من الصحابة بالمولد والرؤية لا بالتفقه

والمعرفة وأما أبوه فما علمنا له ابا قبل دعوى معاوية على التحقيق وإنما هي أقوال غائرة من المؤرخين واما شراؤه له فمراعاة للحضانة فإنه حضنه عند امه إذ دخل عليه فيه شبهة بالحضانة اليه إن كان ذلك وأما قولهم ان ابا عثمان النهدي غبطه بذل فهو بعيد على ابي عثمان فإنه ليس في ان يبتاع احد حاضنه او أباه فيعتقه من المزية بحيث يغبطه عليه ابو عثمان وامثاله لان هذه مرتبة يدركها الغني والفقير والشريف والوضيع ولو بذل من المال ما يعظم قدره فيدري به قدر مروءته في إهانة الكثير العظيم في صلة الولي الحميم وإنما ساقوا هذه الحكاية ليجعلوا له أبا ويكون بمنزلة من انتفى من ابيه

وأما استعمال عمر له فصحيح وناهيك بذلك تزكية وشرفا ودينا

وأما قولهم ان عمر عزله لانه لم يشهد بباطل فباطل بل روى انه لما شهد اصحابه الثلاثة وعمر يقول للمغيرة ذهب ربعك ذهب نصفك ذهب ثلاثة أرباعك فما جاء زياد قال له إني اراك صبيح الوجه وإني لارجو ان لايفضح الله على يديك رجلا من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وأما خطبته التي ذكروا انه عجب منها عمرو فما كان عنده فضل علم ولا فصاحة يفوق بها عمرا فمن فوقه أو دونه وقد ادخل له الشيخ المفترى خطبا ليست في الحد المذكور

وأما قولهم إن أبا سفيان اعترف به وقال شعرا فيه فلا يرتاب ذو تحصيل في أن ابا سفيان لو اعترف به في حياة عمر لم يخف شيئا لان الحال

لم يكن تخلو من احد قسمين إما ان يرى عمر الاطته به كما روى عنه في غيره فيمضي ذلك او يرد ذلك فلا يلزم ابا سفيان شيء باقتراف ما كان في الجاهلية فذكرهم هذه الحكاية المخترعة الباردة المتهافتة الخارجة عن حد الدين والتحصيل لا معنى لها

وأما تولية على له فتزكية

وأما بعث معاوية اليه فيكون معه فصحيح في الجملة وأما تفصيل ما كتب معاوية او كتب زياد به الى على او جاوب به على زيادا فهذا كله مصنوع

وأما قول علي إنما كانت من ابي سفيان فلته زمن عمر لا تستحق بها نسبا فلو صح لكان ذلك شهادة كما روى عن زياد و لم يكن ذلك بمبطل لما فعل معاوية لأنها مسألة اجتهاد بين العلماء فرأى علي شيئا ورأى معاوية وغيره غيره

وأما نكتة الكلام وهو القول في استلحاق معاوية زياد وأخذ الناس عليه في ذلك فأي اخذ عليه فيه إن كان سمع ذلك من أبيه وأي عار على ابي سفيان في ان يليط بنفسه ولد زنا كان في الجاهلية فمعلوم ان

سمية لم تكن لابي سفيان كما لم تكن وليدة زمعة لعتبة ولكن كان لعتبة منازع تعين القضاء له و لم يكن لمعاوية منازع في زياد

اللهم ان ها هنا نكتة اختلف العلماء فيها وهي ان الاخ إذا استلحق أخا يقول هو ابن ابي و لم يكن له منازع بل كان وحده فقال مالك يرث ولا يثبت النسب وقال الشافعي في آخرين يثبت النسب وياخذ المال هذا إذا كان المقر به غير معروف النسب واحتج الشافعي بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم هن لك يا عبد بن زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر فقضى بكونه للفراش وباثبات النسب قلنا هذا جهل عظيم

وذلك أن قوله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قضى بكونه للفراش صحيح وأما قوله بثبوت النسب فباطل لان عبدا ادعى سببين احدهما الاخوة والثاني ولادة الفراش فلو قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو اخوك الولد للفراش لكان إثباتا للحكم وذكرا للعلة بيد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدل عن الاخوة و لم يتعرض لها وأعرض عن النسب و لم يصرح به وإنما هو في الصحيح في لفظ هو اخوك وفي آخر هو لك معناه فأنت اعلم به وقد مهدنا ذلك في مسائل الخلاف

فالحارث بن كلدة لم يدع زيادا ولا كان اليه منسوبا وإنما كان ابن امته ولد على فراشه أي في داره فكل من ادعاه فهو له الا ان يعارضه من هو اولى به منه فلم يكن على معاوية في ذلك مغمز بل فعل فيه الحق على مذهب مالك

فإن قيل فلم انكر عليه الصحابة

قلنا لانها مسألة اجتهاد فمن رأى ان النسب لا يلحق بالوارث الواحد انكر ذلك وعظمه

فإن قيل و لم لعنوه وكانوا يحتجون بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ملعون من انتسب لغير أبيه أو انتمى الى غير مواليه

قلنا إنما لعنه من لعنه لوجهين احدهما لانه اثبت نسبه من هذا الطريق ومن لم ير لعنه لهذا لعنة لغيره وكان زياد اهلا ان يلعن عندهم لما احدث بعد استلحاق معاوية

فإن قيل جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم للزنا حرمة ورتب عليها

حكما حين قال احتجبي منه يا سودة وهذا يدل على أن الزنا يتعلق به من حرمة الوطء ما يتعلق بالنكاح الصحيح هكذا قال الكوفيون ومالك في رواية ابن القاسم يساعدهم على المسألة ولا يساعدهم على دليلها من هذا الوجه وقد بيناها في كتاب النكاح وقال الشافعي العذر في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسودة بالاحتجاب مع ثبوت نسبه من زمعة وصحة اخوته لها بدعوى عبد أن ذلك تعظيم لحرمة ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لانهن لم يكن كأحد من النساء في شرفهن وفضلهن

قلنا لو كان أخاها بنسب ثابت صحيح كما قلتم ويكون قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الولد للفراش تحقيقا للنسب لما منع النبي صلى الله عليه وآله وسلم سودة منه كما لم يمنع عائشة من الرجل الذي قالت هو أخي من الرضاعة وانما قال انظرن من اخوانكن

وأما ما روى عن سعيد بن المسيب فأخبر عن مذهبه في أن هذا الاستلحاق ليس بصحيح وكذلك رأى غيره من الصحابة والتابعين وقد صارت المسألة الى الخلاف بين الامة وفقهاء الامصار فخرجت من حد الانتقاد الى حد الاعتقاد وقد صرح مالك في كتاب الاسلام وهو الموطأ بنسبه فقال في دولة بني العباس زياد بن ابي سفيان و لم يقل كما يقول المخاذل زياد بن ابيه هذا على انه لا يرى النسب يثبت بقول واحد ولكن في ذلك فقه بديع لم يتفطن له احد وهو انها لما كانت مسألة خلاف

ونفذ الحكم فيها بأحد الوجهين لم يكن لها رجوع فإن حكم القاضي في مسائل الخلاف باحد القولين يمضيها ويرفع الخلاف فيها والله اعلم

وأما روايتهم ان عمر قال كرهت ان احمل فضل عقلك على الناس فهذه زيادة ليس لها اصل من ناقص عقل وأي عقل كان لزياد يزيد به على الناس في أيام عمر وغلام كل واحد من الصحابة كان اعقل من زياد وأعلم منه ولهذا كل من كمل عقله اكثر من الآخر فهو اولى ان يختلط مع الناس ويقولون إنه كان داهية وهي كلمة واهية الدهاء والارب هو المعرفة بالمعاني والاستدلال على العواقب بالمبادئ وكل احد من الصحابة والتابعين فوق زياد وتلك الروايات التي يروى المؤرخون من كذبهم في حيل الحرب والفتك بالناس كل احد اليوم يقدر على مثلها وأكثر منها والحيلة إنما تكون بديعة وتنشى وتروى إذا وافقت الدين وأما كل حكاية تخالف الدين فليس في روايتها ولا في رواتها خير ولا عقل وكل الناس كما قدمنا وخذ من ولاة بني امية خاصة أعقل من زياد وأفصح منه فلا تلتفتوا الى ما روى من الاباطيل نكتة

والولايات والعزلات لها معان وحقائق لا يعلمها كثير من الناس لقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات عن زهاء اثني عشر الفا من الصحابة معلومين منهم الفان او نحوهما مشاهير في الجلالة ولى منهم ابو بكر سعدا وابا عبيدة ويزيد وخالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل ونفرا غيرهم فوقهم وولى انس بن مالك ابن عشرين سنة على البحرين اقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في عتاب ومتى كان استوفى

المشيخة حتى يأخذ الشبان وولي عمر ايضا كذلك وبادر بعزل خالد وذل كله لفقه عظيم ومعارف بديعة بيانها في موضعها من كتب الامامة والسياسة من الأصول فخذوا في فن غير هذا فليس هذا الباب مما تلوكه اشداق اهل الاداب

وأما ما روى عن معاوية انه استدعى شهودا فشهد السلولي وسواه غسل من الحق ما روى عن السلولي

فإنه لم يكن قط واسعد باسقاط ما روى في القصة سعيد او سعد وأما كلام ابي بكرة اخيه لامه فيه فغير ضائر له لان ذلك رأى ابي بكرة واجتهاد وأما قولهم فيها عن ابي بكرة انه زنى امه فلو كان ذلك صحيحا لم يضر امه ما جرى في الجاهلية في الدين فإن الله عفا عن امر الجاهلية كلها بالاسلام وأسقط الاثم والعار منه فلا يذكره الا جاهل به

قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه والناس إذا لم يجدوا عيبا لأحد وغلبهم الحسد عليه وعداوتهم له احدثوا له عيوبا فاقبلوا الوصية ولا تلتفتوا الا الى ما صح من الاخبار واجتنبوا كما ذكرت لكم اهل التواريخ فإنهم ذكروا عن السلف اخبارا صحيحة يسيرة ليتوسلوا بذلك الى رواية الاباطيل فيقذفوا كما قدمنا في قلوب الناس مالا يرضاه الله تعالى وليحتقروا السلف ويهونوا الدين وهو اعز من ذلك وهم أكرم منا فرضى الله عن جميعهم

ومن نظر الى افعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك التي يختلقها اهل التواريخ فيدسونها في قلوب الضعفاء وهذا زياد لما احسن المنية

استخلف سمرة بن جندب من كبار الصحابة فقبل خلافته وكيف يظن به على منزلته انه يقبل ولاية ظالم لغير رشده وهو على ما هو عليه من الصحبة وذلك من غير إكراه ولا تقية إن هذا لهو الدليل المبين فمع من تحبون ان تكونوا مع سمرة بن جندب او مع المسعودي والمبرد وابن قتيبة ونظرائهم وهذا غاية في البيان قاصمة

كانت الجاهلية مبنية على العصبية متعاملة بينها بالحمية فلما جاء الاسلام بالحق وأظهر الله منته على الخلق قال الله سبحانه

واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا آل عمران 103 وقال لنبيه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم الانفال 63 فكانت بركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تجمعهم وتجمع شملهم وتصلح قلوبهم وتمحو ضغائنهم

واستأثر الله برسوله صلى الله عليه وآله وسلم ونفرت النفوس وتماسكت الظواهر منجرة ما دام الميزان قائما فلما رفع الميزان كما تقدم ذكره في الحديث اخذ الله القلوب عن الالفة ونشر جناحا من التقاطع حتى سوى جناحين بقتل عثمان فطار في الافاق واتصل الهرج الى يوم المساق وصارت الخلائق عزين وفي واد من العصبية يهيمون

فمنهم بكرية وعمرية وعثمانية وعلوية وعباسية كل تزعم ان الحق معها وفي صاحبها والباقي ظلوم غشوم مقتر من الخير عديم وليس ذلك بمذهب ولا فيه مقالة وإنما هي حماقات وجهالات او دسائس للضلالات حتى تضمحل الشريعة وتهزأ الملحدة من الملة ويهلو بهم الشيطان ويلعب وقد سار بهم في غير مسير ولا

مذهب

قالت البكرية أبو بكر نص عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة ورضيته الامة للدنيا وكان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتلك المنزلة العليا والمحبة الخالصة وولى فعدل واختار فاجاد الا انه اوهم في عمر فإنه امره غليظ وفظاظته غلبت وذكروا معايب واما عثمان فلم يخف ما عمل وكذلك على وأما العباس فغير مذكور

وقالت العمرية أما ابو بكر ففاضل ضعيف وعمر إمام عدل قوي بمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم له في حديث الرؤيا والدلو والعبقري كما تقدم واما عثمان فخرج عن الطريق ما اختار واليا ولا في احدا حقا ولا كف اقاربه ولا اتبع سنن من كان قبله وأما علي فجرئ على الدماء لقد سمعت في مجالس ان ابن جريج كان يقدم عمر على ابي بكر وسمعت الطرطوشي يقول لو قال احد بتقديم عمر لتبعته

وقالت العثمانية عثمان له السوابق المتقدمة والفضائل والفواضل في الذات والمال وقتل مظلوما

وقالت العلوية على ابن عمه وصهره وأبو سبطي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حضانة

وقالت العباسية هو ابو النبي صلى الله عليه وآله وسلم واولاهم بالتقديم بعده وطولوا في ذلك من الكلام ما لا معنى لذكره لدناءته ورووا احاديث لا يحل لنا ان نذكرها لعظيم الافتراء فيها ودناءة رواتها

وأكثر الملحدة على التعلق بأهل البيت وتقدمه علي على جميع الخلق حتى إن الرافضة انقسمت الى عشرين فرقة اعظمهم بأسا من يقول ان عليا هو الله والغرابية يقولون إنه رسول الله لكن جبريل عدل بالرسالة عنه الى محمد حمية منه معه في كفر بارد لا تسخنه الا حرارة السيف فأما دفء المناظرة فلا يؤثر فيه عاصمة

إنما ذكرت لكم هذا لتحترزوا من الخلق وخاصة من المفسرين والمؤرخين وأهل الاداب فإنهم اهل جهالة بحرمات الدين او على بدعة مصرين فلا تبالوا بما رووا ولا تقبلوا رواية الا عن ائمة الحديث ولا تسمعوا لمؤرخ كلاما الا للطبري وغير ذلك هو الموت الاحمر والداء الاكبر فإنهم ينشئون احاديث استحقار الصحابة والسلف والاستخفاف بهم واختراع الاسترسال في الاقوال والافعال

عنهم وخروج مقاصدهم عن الدين الى الدنيا وعن الحق الى الهوى فإذا قاطعتم اهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول سلمتم من هذه الحبائل و لم تطووا كشحا على هذه الغوائل ومن اشد شيء على الناس جاهل عاقل أو مبتدع محتال فأما الجاهل فهو ابن قتيبة فلم يبق و لم يذر للصحابة رسما في كتاب الامامة والسياسة ان صح عنه جميع ما فيه وكالمبرد في كتابه الأدبي وابن عقله من عقل ثعلب الامام

المتقدم في أماليه فإنه ساقها بطريقة ادبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة واما المبتدع المحتال فالمسعودي

فإنه بها يأتي منه متاخمة الالحاد فيما روى من ذلك وأما البدعة فلا شك فيه فإذا صنتم اسماعكم وابصاركم عن مطالعة الباطل و لم تسمعوا في خليفة ممن ينسب اليه ما لا يليق ويذكر عنه مالا يجوز نقله كنتم على منهج السلف سائرين وعن سبيل الباطل ناكبين

فهذا مالك رضي الله عنه قد احتج بقضاء عبدالملك بن مروان في موطأه وأبرزه في جملة قواعد الشريعة وقال في روايته عن زياد بن ابي سفيان فنسبه اليه وقد علم قصته ولو كان عنده ما يقول العوام حقا لما رضي ان ينسبه ولا ذكره في كتابه الذي أسسه للاسلام وقد جمع ذلك كله في أيام بني العباس والدولة لهم والحكم بأيديهم فما غيروا عليه ولا أنكروا ذلك عنه لفضل علومهم ومعرفتهم بأن مسألة زياد مسألة قد اختلف الناس فيها فمنهم من جوزها ومنهم من منعها فلم يكن لاعتراضهم اليها سبيل

وكذلك اعجبهم حين قرأ الخليفة على مالك الموطأ ذكر عبدالملك ابن مروان فيه وإذكاره بقضائه لانه إذا احتج العلماء بقضائه فسيحتج بقضائه ايضا مثله وإذا طعن فيه طعن فيه بمثله

وأخرج البخاري عن عبدالله بن دينار قال شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبدالملك بن مروان كتب إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الملك امير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت وان بني قد أقروا بمثل ذلك

وهذا المأمون كان يقول بخلق القرآن وذلك الواثق واظهروا بدعتهم وصارت مسألة معلومة إذا ابتدع القاضي او الامام هل تصح ولايته وتنفذ احكامه ام هي مردودة وهي مسألة معروفة وهذا اشد من برودات ذكرها اصحاب التواريخ من ان فلانا الخليفة شرب الخمر او غنى او فسق او زنى فإن هذا القول في القرآن بدعة او كفر على اختلاف العلماء فيه قد اشتهروا به وهذه المعاصي لم يتظاهروا بها إن كانوا فعلوها فكيف يثبت ذلك عليهم بأقوال المغنين والبراد من المؤرخين الذين قصدوا بذكر ذلك عنهم تسهيل المعاصي على الناس وليقولوا إذا كان خلفاؤنا يفعلون هذا فما يستبعد ذلك منا وساعدهم الرؤساء على إشاعة هذه الكتب وقراءتها لرغبتهم في مثل افعالهم حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا وحتى سمحوا للجاحظ ان تفزأ كتبه في المساجد وفيها من الباطل والكذب

والمناكير ونسبة الانبياء الى انهم ولدوا لغير رشدة كما قال في إسحاق صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب الضلال والتضليل وكما مكنوا من قراءة كتب الفلاسفة في إنكار الصانع وإبطال الشرائع لما لوزرائهم وخواصهم في

ذلك من الأغراض الفاسدة والمقاصد الباطلة فإن زل فقيه أو أساء العبارة عالم

يكن ما أساء النار في رأس كبكبا

وبالوقوف على هذه الفصول تحسن نياتكم وتسلم من التغير قلوبكم على من سبق

وقد بينت لكم انكم لا تقبلون على انفسكم في دينار بل في درهم إلا عدلا بريئا من التهم سليما من الشهوة فكيف تقبلون في احوال السلف وما جرى بين الاوائل ممن ليس له مرتبة في الدين فكيف في العدالة

رحم الله عمر بن العزيز حيث قال وقدتكلموا في الذي جرى بين الصحابة تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون البقرة 134 والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

to pdf: www.al-mostafa.com